اغتصاب معلن

عنـــوان الكتـــاب: اغتصـــاب معلـــن
الموضـــــــوع: روايـــــــــــة
التـــأليـــــــف: نهـــــى شـــــعبان
مراجعـــة لغويـــة: محمـــــد منصـــــور
إخـــــراج فنـــــي: محمـــــد منصـــــور
تصـــميم الغـــلاف: حســـــن العربـــــي
رقـــم الإيـــداع: **2020/20188**
التـــرقيم الـــدولي: **978-977-6639-97-3**
الناشـــــــــــر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066
#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

اغتصاب معلن

رواية

نهى شعبان

دارتويتة للنشر والتوزيع

إهداء

لتلك الوردة التي جعلتنا نبتسم رُغمًا عنا، وتلك التفاصيل التي صنعت منّا شخصًا أخر، لذاك الحلم الذي أصبح قريبًا، لأولئك الأشخاص القادرون على إزهار أرواحنا بمجرد رؤيتهم، لكل من راهن على نجاحه يومًا ما وفعلها بكل جدارة .

شكرًا

ليست مجرد كلمات سوف أُسطرها لكي أُعبر عن إمتناني لك، بداخلي الكثير والكثير من العُرفان والجميل، شكرًا لأنك كنت نقطة البداية في تلك الرواية، لأنك دفعتني للأمام في إنجاز أكبر قدر منها، شكرًا لأفكارك المُلهمة وعقلك المُدبر " محمد جمال" كل الأشياء معى كانت بحاجة إلى نقطة نور لكي أُنجِزها ولذلك قررت أن تكون البطلة نور مثل نورك تمامًا " نورهان نادي " كل ما أنا عليه الآن بفضلك، كل الأشياء أصبحت من عادية إلى مصدر فخر عظيم بفضلك، كل التعب يهون بمُجرد النظر إليكِ، فالبشر لهم العالم، وأنا لى أنتِ .. شكرا " يا أحلى ماما في حياتي" .

المقدمة

الأمـــور لا تجـــري كمـــا نريـــد، والريـــاح تـــأتي بمـــا لا تشـتهي السـفن، الأمـر محـزن يـا صـديقي فكلمـا أردت تغييـر مســارك تصــيبك رصاصــةً بمنتصــف عقلــك تشــل تفكيـرك، تجعــل اليــأس يتملــك منــك وكأنــه ســرطان يســري بجســدك يقنعــك أنــك مــريض ولا محالة من الموت ..

الأيــام تدهشــنا مــن ســرعتها، والعــالم بحاجــة إلــى توقف لكى نفهم ما الذى حل بنا فجأة !

أيعقل أنها بالفعل زهرة شبابنا ؟!

أم أن دوران الكوكـــب اصـــطدم بأحـــد الحجـــارة فقررت الإنتقام !

الفصل الأول

بأحد أحياء القاهرة وبالتحديد فى الثانية ظهرًا كانت الأجواء هادئة إلى حد ما، تحرك " سيد " ناحية والده، واضعًا يده أسفل ظهره ليتأكد من وجود شئ معين وبصوت مشحون بالغضب قائلًا:

- سيد : أنا قولتلك عايز فلوس وأنت مش بتديني يبقى خلاص أستحمل اللي يحصل فيك.

سحب المسدس من جيبه الخلفي، وتعابير وجهه لا تحتوى على أي مشاعر، قام مصوبًا المسدس على قلب أبيه ضاغطًا على الزناد دون أدنى رحمة لتستقر الرصاصة بجانب قلبه

أنتفض " علي " على صرخة والده وهو يترنح أمامه والدماء تسيل منه بغزارة، شّل عقله عن التفكير، ماذا يفعل ؟!

أيقتل " سيد " أم ينقذ حياة أبيه؟!!، عقله مشوش، مملوئًا بطاقة هائلة من الغضب ناظرًا لـ " سيد " والشر يتطاير من عيناه، نظرة تكاد تفتك به، حدثه عقله فجأة بأنه لا فائدة الآن من كل ذلك إنقاذ حياة أبيك أهم.

تحرك مسرعًا حامًلا أباه على يديه دافعًا الباب، لم يشعر بنفسه إلا وهو أمام المستشفي طالبًا الإستغاثة.

هرجلة تسود المكان حتى أستقرت عيناه على أبيه والأسلاك تحيط به من كل الجوانب، يقاطعه طبيب:

- الطبيب : الحاله خطيرة جداً ومحتاجين دم بسرعة..

- علي : خد مني أنا نفس الفصيلة.

جرت الأمور بكل روتينية، أستقرت عقارب الساعة على الثامنة ولا شئ جديد يحدث سوى انشغال " علي " بتلك المخدرات اللعينة التي جعلت أخيه يقتل أباه بكل هذه البساطة !.

***

ليس من عادتها العودة فى وقت متأخر هكذا ولكن ظروف عملها أجبرتها على التأخر، تسير ولا تعبأ بشئ حولها، كل ما يهمها أن تصل بأقصى سرعة لتطمئن والدتها عليها .

على الجانب الأخر كان يجلس مع أصدقائه غير عابئًا بما حدث فى الظهيرة وكأنه لم يفعل أي كارثة، خرج من بينهم ووجهته المنزل حتى وقعت عيناه على فريسته ؛ نعم هى فريسته التي طالما تمنى أن يلتهمها يومًا ما ..
تسرع فى خطواتها حتى سمعت همسات تأتي من خلفها، تصبغ وجهها بالخوف، وضربات قلبها تتسابق مع الزمن، هي تعرف صوته جيدًا، تكرهه لأبعد حد ماذا تفعل والشوارع الآن فارغة إلا من بعض الأطفال والمارة الذين توحي هيئتهم بعدم طمأنينة.

سيد : أستنى يا " نور " ما أنا هكلمك هكلمك..

نور : .....

لم تشعر بنفسها إلا وهي تركض بإتجاه منزلها، فبعض الخطوات تفصلها عنه مما جعل الطمأنينة تسري قليلًا بجسدها .

طق طق طق

هدى : ما ثواني ياللى على الباب هى الدنيا طارت؟!

نور متصنعة المرح : ايوة طارت يا هدهد الجناين.

هدى: ايه اللى أخرك يا مقصوفة الرقبة قلقتيني عليكي؟

نور محاولة تلطيف الجو : معلش يا ماما الشغل والله، أخر عميل مشي من عندنا وأنا ماشية

هدي : لما نشوف أخرتها معاكى يا ست " نور " ..

نور : كل خير يا " هدهد "، أعمليلي أكل بقا عشان هموت من الجوع

هدي : طيب ياختي غيري هدومك أكون حضرتلك..

نور : حاضر يا ست الكل.

(" نور" حاصلة على بكالوريوس سياحة وفنادق، تعمل بأحد الشركات السياحية التي تسبقها حسن سيرتها، أتمت عامها الخامس والعشرين منذ أيام ليست بقليلة وسط فرحة عارمة بين عائلتها وبالأخص من أخيها " زياد " الذي يبلغ من العمر عشرون عامًا ولكنه ترك التعليم من أجل مساعدة والده فى إدارة المحلات الخاصة بهم، تتميز " نور" بالهدوء والخجل، ليس لديها أصدقاء سوى " هالة "، تعمل جاهدة أن تترك أثرها الطيب فى نفوس الآخرين).

يجلس صاحب الثلاثين عامًا يشاهد التلفاز بعدما كاد تفكيره بالأسبوع الذي مضى يفتك برأسه، يتمني أن يكون كل ما يمر به مجرد كابوس وسوف ينتهى قريبًا، قاطع تفكيره صوت المذيع قائلًا :

" قبضت اليوم الشرطة الإيطالية على مركب يحمل على متنه أكثر من عشر أشخاص قادمين من جمهورية مصر العربية عن طريق الهجرة الغير شرعية "

أثار الخبر نفورًا فى نفسه فقرر غلق التلفاز حتى وجد " سيد " أمامه يسأله عن أبيه:

علي : هو أنت مش قولت للناس كلها أنو مات يبقى خلاص هو مات.

سيد باستفزاز: ما أنا عايز أعرف بردوا هو راح فين؟

علي بغضب : ولما أنت خايف أوى عليه كده، قتلته ليه ؟!

سيد ببرود : عشان قولتله عايز فلوس وعاند معايا.

علي : طيب كويس على كده أي حد أبوه ميرضاش يديله فلوس يقوم قاتله..

سيد : وبعدين خليك فى حالك أنت لتحصله.

علي : أنا مبتهددش، ولو على أبوك فأنا زي زيك معرفش مكانه هو هرب في الوقت اللى أنا جيت فيه البيت هنا ونمت ده كلام الدكاترة، وزي ما أنت فهمت الناس أنه مات أنا زيك بردوا مفهمهم كدا.

علي مكمِّلا حديثه : أنا لو كنت ساكت عليك ومقربتش ناحيتك لدلوقتى فده عشان أبوك دايمًا كان بيوصيني عليك.

- تركه وذهب لغرفته، يزفر بضيق، فبدل ملابسه وأخذ هاتفه ليفتح الصفحة الخاصة به على موقع الفيس بوك وبدأ الكتابة لمعشوقته:

" لحد دلوقتى بحبك بينى وبين نفسي، معرفش هعترفلك إمتى بس مستني اللحظة المناسبة يا نور العالم " ..

ترك هاتفه وأستند على نافذة غرفته، يفكر بها كثيرًا، هو حقًا يعشقها منذ الصغر، يجذبه هدوئها الخارجي ونظرتها البريئة، تربكه عيناها البنيتان كحبات القهوة، يحتاج لوجودها بجواره فقد سيطر الحزن على قلبه وأزدادت عليه وحدته .

***

فى صباح يوم جديد، كان منهمكًا فى ترتيب الأحذية داخل ذلك الصندوق الزجاجي حتى قاطعه صوت " علي " من خلفه:

علي : صباح الخير يا عم " عبده ".

عبده : صباح النور، عامل إيه يا " علي " يا أبني أخبارك إيه دلوقتي؟

علي : الحمد لله ماشي الحال .

عبده بخبث : البقاء لله وحده يا ابني.

علي : ونعم بالله.

عبده : ها، أؤمرني محتاج حاجة..؟

علي : كنت محتاج جزمة حلوه كدا.

عبده : عنيا ليك يا حبيبي.
أختار " على " حذاء باللون الأسود ليتماشى مع أغلب ملابسه وصافح " عبده " بحرارة فهو صديق أبيه المفضل، ومن ثم رحل إلى الفندق الذي يعمل به، فهو حاصل على بكالريوس تجارة ويعمل كمحاسب وتم قبوله بتلك الوظيفة نظرًا لكفائته .

***

تركه " علي " ليفكر في تلك المكالمة التي ينتظرها منذ يومان، صدر رنين من هاتفه فأعتقد أنه يحلم حتى بدأ الصوت يتعالى شيئًا فشيئًا فقام منتفضًا ليجيب..
المتصل : اسمعني كويس بكرة بالكتير الشحنة هتوصلك، عايزك تظبط الدنيا ومتغلطش عشان مش ناقصين مشاكل.
عبده : حاضر يا باشا اللي تقول عليه هيتنفذ متقلقش.
المتصل : تمام، يلا سلام لو في جديد أبقى بلغني.
عبده : حاضر أنت تؤمر.

- غلق الهاتف دون أن ينهي المكالمة، استعد لتلك المهمة، هي ليست أول مرة، ولكن الأمر يحتاج للسرية التامة فهو يخشى أن يشعر " زياد " بشئ فيخسر كل شئ ..

نظرت فى ساعتها فقامت للتأكد من وضع أشيائها بحقيبتها ومن ثم ودعت " هالة " وغادرت الشركة متجهة لمنزلها، أعلن هاتفها عن وصول مكالمة، التقطته من حقيبتها وقامت بالرد

هدي : ألو، وصلتي فين يا نور طمنيني عليكي.

نور : أديني أهو داخلة شارعنا، محتاجة حاجة اجيبهالك معايا يا هدهد.

هدى : كنت بشوفك فين عشان أجهزلك الأكل يا مقصوفة الرقبة.

نور بضحكة بريئة : أديني أهو قرب البيت بخطوتين يا هدهد الجناين.

هدى بابتسامة : ماشي يلا سلام

***

على الجانب الآخر كان " سيد " بالقرب منها، وبحركة خبيثة منه حمل هاتفه وبدأ بالضحك بصوتٍ عالٍ وتحديدًا عندما كان على مقربةٍ من " نور " ، ليتعمد إثارة " علي " الذي كان يراقب الموقف من نافذة غرفته.

لم يتمالك أعصابه فقام بغلق نافذة غرفته بكل قوته تنفيسًا عن غضبه، فقد تملّك الشك منه، وأخذ يحدث نفسه بأنه يوجد بينهم علاقة، فهما يضحكان فى نفس اللحظة، بدأ يهدأ من روعه ولكن فى النهاية نجح " سيد " فى أن يزرع الشك بقلبِ أخيه ولو للحظات ..

- حاولت أن تظل على ثباتها عندما رأته، فرؤيته تجعلها مضطربة، فهي تكرهه كثيرًا وتكره كل ما يفعله معها، ولكن في النهاية سعدت كثيرًا أنه لن يستطيع أن يزعجها مثلما يفعل كل مرة لأنها أمام منزلها .

دخل المنزل متمتمًا بعدة كلمات غير مفهومة، وضحكته الخبيثة تعتلي ثغره، حتى وجد " علي " يخرج من المرحاض فقرر استفزازه..

سيد : شوفت حبيبة القلب..

علي ببرود : مين حبيبة القلب !

سيد بضحكة خبيثة : نور العالم.

علي متصنعًا البرود : أنت عايز منها أيه ؟

سيد بنظرة شهوانية : أطولها بس ووقتها هتعرف عايز إيه؟

علي بغضب مكتوم : خليك بعيد عنها أحسن ليك بدل ما قسمًا بالله ما هيحصلك طيب .

سيد بشّر: على فكرة احنا بنتكلم اصلا.

علي بغضب جامح : على فكرة أنت كداب.

سيد بلؤم : أنت مشوفتاش من شوية ولا إيه، احنا كنا متفقين هنقابل بعض قدام بيتها أصلا.

علي والشر يتطاير من عيناه : مش هصدقك برضو، وألاعيبك الزبالة دي متعملهاش على أخوك، ولتاني مرة هقولهالك أنا لو ساكت عليك فده عشان أبوك.

سيد مقاطعًا موجة غضبه : خليك مش مصدق وعلي العموم أهو رقمها.
- نظر للهاتف ونظرًا لسرعة بديهته حفظ الرقم وقرر أن يهاتفها بعدما يغادر " سيد " المنزل.
علي ببرود : برضوا مش هصدقك، ويلا أطلع برا البيت ومش عايز أشوف وشك تاني.

***

يلتفون حول مائدة الطعام، ويتجاذبون أطراف الحديث وكالعادة لا تخلو الأحاديث من فكاهية " نور " لكل من " هدى " و " زياد ".
زياد : بس تعرفي يا بت يا " نور " الواد " ميدو " طلبك مني.
نور بضحك : والله بحبه أوي، قولتله خلص الثانوية وهخطبك.
هدى : ده لسه من شوية جه وسألني عليكي عايزك تشرحيله حاجة قولتله لسه مجتش، قالي خلاص هروح ل " علي ".
نور بكسوف حينما جاءت سيرة " علي " :
- مقابلتوش النهاردة خالص زي مابشوفه كل يوم الصبح.
هدى بخبث بعدما تأكدت من عدم سماع أحد لهم : مين قصدك " علي " ولا " ميدو "
نور بخجل : لا... " ميدو "
هدى بضحكة عالية وهي تلملم الأطباق من على السفرة : عليا أنا يا بت ده أنا حفظاكي أكتر منك.

نور بتوتر: طيب هروح أصلي أنا بقى.
هدي بخبث : أهربي، أهربي ليكي قعدة.
- ذهبت لتؤدي فريضتها ودعت كثيرًا أن يجمعها الله به، وأن يكون زوجًا صالحًا لها، وما إن أنتهت حتى رن هاتفها ، فوجدته رقمًا غريبًا فلم تستجب في المرة الأولي فأعتقدت أنه " سيد " مهاتفًا إياها برقم غريب حتى ترد عليه وفي المرة الثالثة قررت الرد:
- ألو
- ....
- الو
- .....
قام بغلق المكالمة، أخذ يحدث نفسه بأنه لم يخطئ صوتها، وأنها " نور "، وضع يده على رأسه بألم يجتاح قلبه وروحه، أيعقل أنها تحدث " سيد " بالفعل، وأنه يوجد علاقة بينهما، لم يستطع منع دموعه من التساقط، دقائق مرت ليست بكثيرة وهو على هذا الحال، لم يتحرك من غرفته، حتى غفى دون أن يشعر..

وصل " زياد " إلى المحل الخاص بهم متأخرًا بساعة فلم يجد أبيه بالخارج فخمن أنه قد يكون بالغرفة الداخلية يراجع الحسابات، فقرر أن يخبره بمجيئه ولكن استوقفه صوت أزرار الخزنة ومحاولة أبيه الفاشلة في فتحها، قرر بداخله أنه يراقبه ليعرف الأرقام ومن خلال ذلك سوف

يحصل على المال الذي يريده ويتعاطى جرعات الهيروين بأريحية دون أن يحمل هم أي شئ .. ما صدمه حقًا تلك المكالمة التي أتت لأبيه بأن هناك شحنة سوف يستلمها، لم يسمع شيئًا أكثر من ذلك لأنه بدأ يتهامس حتى لا يسمعه أحد .

زياد " مقاطعًا " عبدو " :

- بابا أنا جيت.

- توتر كثيرًا بمجرد سماع صوته وبدأ يتمتم بعدة كلمات فيما معناها أنه يريد اغلاق المكالمة، وبالفعل فهم الطرف الأخر ونهى المكالمة .

عبده : اتأخرت ليه..؟ مش قولتلك تنزل ورايا..

زياد : معلش بقى، عديت على أصحابي.

عبده : ماشي يلا روح رتبلي البضاعة الجديدة.

زياد : ماشي، كنت عايز مصروف الشهر عشان مش معايا فلوس.

عبده : ربنا يسهل خمس أيام وهقبضك.

زياد : ودلوقتي ليه مينفعش؟

عبده : خلاص يا " زياد " متزنش كتير قولتلك خمس أيام.

زياد : مممم، تمام

***

مرت أيام والأمور تسري بروتينية، لا جديد يحدث
" علي " فى حالة يرثي لها، " سيد " يستلذ بما يفعله مع نور، أما " نور" يسيطر الحزن عليها فهي لم ترى " علي " منذ بضعة أيام وتدعو الله كثيرًا أن يكون بخير.
وعلي الجانب الأخر كان " عبده " استلم تلك البضاعة وقام بتوزيعها كما يفعل كل مرة دون أدني شعور بالذنب .
يا ليته يعلم بأن ابنه الوحيد يتعاطى من تلك البضاعة ..!

- فى المساء وتحديدًا الساعة التاسعة، لم ترى أي حافلة تنقلها إلى منزلها فقررت أن تخبر والدتها أنها سوف تتأخر قليلاً نظرًا أن يومها بالعمل كان شاق، وعدم وجود أي مواصلات تنقلها .
قررت بأنها سوف تذهب من الطريق المختصر، حتى تستغل وقتها وتصل بسرعة إلى منزلها، لم تكن تعلم بأن الجحيم ينتظرها ...

***

كان يجلس مع أصدقائه في تلك الغرزة التي يبغضها كل أهالي الحي ويخشوا على أولادهم منها، زود الجرعة وعاش بعالم أخر، بدأ يتخيلها بأوضاع مخلة، مما زادت شهوته تجاهها فلاحت له فكرة شيطانية وهي أن يذهب إليها عند مقر عملها ويراقبها حتى تخرج .

- لم تعي بنفسها إلا وهي في شوارع يغطيها ظلام دامس، وهدوء يشبه هدوء المقابر، قرر أن يعطيها صوته، وضعت يدها على قلبها وأخذت تتمتم بآيات من القرأن، لعلها تهدأ من روعها قليلاً، جذبها من معصمها أخذت تقاومه بكل ما لديها من قوة حتى قام بدفعها أرضًا في تلك المنطقة اللعينة التي تسمى " الخرابة ".

أخذ يقبلها بنهمٍ، ويضع يده على جسدها بطريقةٍ مقززة، تدفعه بكفيها الصغيرتين وتصرخ كثيرًا فيكتم صوتها، لا تستطيع فعل شئ أمام جسده الضخم، حاولت أن تقوم مرارًا ولكن هيهات فقام بصفعها وأصبح كالثور لا يرى أمامه، مزق ملابسها، حتى وصل إلى مبتغاه، نظر بفخر لذاته وكأنه سوف يصنع مجدًا عظيما يتحاكى بهِ العالم، وبدون أدنى رحمة مزقها.. ليتردد صدى صرختها في البلدان المجاورة .

تعمد إيذائها بكل مرة يراها، يسبها بأبشع الألفاظ، يزعجها ويهاتفها ليلاً ونهارًا، وأخيرًا يغتصبها.. لم يكتفي بذلك تركها وغادر وكأنه لم يفعل شئ، يعتلي ثغره ابتسامة انتصار، أشعل سيجارته المعتادة وذهب إلى الغرزة ليكمل ليلته.

تأخر كثيرًا عن موعد عودته للمنزل حتى قررت والدته مهاتفته للأطمئنان عليه فهو فلذة كبدها الوحيد:

- الو... أيوة يا " ميدو " فينك يا حبيبي أتأخرت ليه ؟

- متقلقيش يا ماما أديني ناحية " الخرابة "، جيت مشي عشان ملقتش مواصلات
- طيب يا حبيبي يلا مستنياك، سلام

بمجرد أن أنهي المكالمة سمع صوت يتأوه بجانبه، لم يعطيه اهتمام وقرر الأستمرار، حتى بدأ الصوت يعلو شيئًا فشيئًا فقرر أن يعرف ماذا يحدث، تحرك تجاه الصوت، حتى صُدم عندما رآها بفتاة، أقترب منها أكثر وقام بتفعيل كشاف هاتفه، وكانت صدمته أكثر عندما رآها " نور "
أخذ نفسًا عميقًا، نادي باسمها كثيرًا ولكن لا فائدة وكأنها ذهبت لعالم آخر، حملها وقرر أن يأخذها إلى أقرب مشفى.

مرت نصف ساعة، حتى خرج الطبيب..
ميدو : طمني يا دكتور هي كويسة؟؟
الطبيب : كويسة ايه وزفت إيه!!، دي حد اغتصبها أنت لقيتها فين دي؟!!!
لم تنتهي مناقشة الطبيب ل " ميدو " بعد، فأجبره أن يحكي له كل ما حدث، وما زال " ميدو " ياخذ كل صدمة تلو الأخري .
خرجت من الغرفة مسلوبة الأرادة، كما سُلب شرفها بكل تلك البساطة، حتى قاطعها الطبيب: - أنتي رايحه فين يا آنسة؟!!، في محضر أتفتح والظابط مستنيكي تفوقي عشان يعرف كل اللي حصل.

نور : أرجوك لا أنا اصلا معرفش مين اللي عمل كده هو ضربني على دماغي وأنا محستش بحاجة.

الطبيب : طيب خلاص يجي الظابط وقوليله الكلام ده.

ذهب ميدو إليها وعيناه يكسوها الشر والأنتقام، قرر أن يهدأ، لعل " نور " تحكي له ما حدث بالفعل.

نور : أرجوك يا " ميدو " عايزة أروح.

ميدو : أزاي حصل كده، مين أبن .... اللي عمل كده فهميني؟؟

بكت بهستيرية، لم تستطع أن تقاوم نظراته، جذبها من معمصمها لخارج المشفي، ضرب كلام الطبيب بعرض الحائط، فلا فائدة من أنتظار الشرطي للتحقيق، هي بجانبه في عالم أخر، رأسها مشوش بالأفكار وهو يريد معرفة كل شئ حتى قاطع صمتها

ميدو : ممكن أعرف مين اللي عمل فيكي كدا ؟

نور : أرجوك يا " ميدو " أوعي تقول لحد، دول هيقتلوني

ميدو : وغلاوتك عندي ما هقول بس قوليلي مين اللي عمل كدا

نور بتردد : " سيد " هو اللي عمل كدا

ميدو بصدمة : اييييه ؟

نور : .....

ميدو بغضب : أنا مشوفتش أوطي منه والله، بني أدم قذر معندوش دين وتلاقيه كان متنيل شارب، بس والله يا
" نور " لجيبلك حقك حتى لو بعد مية سنة
ميدو بتفكير: طيب هتعملي ايه يا " نور "، قوليلي أساعدك أزاي متسكتيش أرجوكي
نور بتوسل : أوعدني متقولش لحد حاجة وأنا هتصرف
ميدو : أوعدك
- قصت " نور " كل ما حدث ل " ميدو " لعلها تنفس عن جرحها ولو قليلاً، لم يقاطعها ظل يستمع لها بكل جوارحه فبالرغم من صغر سنه إلا أن عقله ناضج بدرجه كبيرة ، لم يتفوه بأي كلمة ظل يستمع لها حتى جفت عيناها من البكاء فلعلّ حديثها معه يهون عليها ولو قليلًا .

الفصل الثاني

" فأحيانا يكون الإنصات أحب إلينا من حلول بلا فائدة "

نهى شعبان

وصلت إلى منزلها كانت والدتها بانتظارها سلمت عليها بسرعة حتى لا تلاحظ شئ، أحضرت ملابسها وتوجهت للمرحاض لتغتسل، تشعر بأنها مغيبة أو أن شخصًا أخر يوجهها بعدة أوامر وهي تفعلها دون نقاش، أغلقت عيناها فتجسد أمامها الموقف بكل تفاصيله، أخذت تبكي بهسترية وتناجي ربها بأن يمر هذا الأبتلاء بسلامٍ على قلبها، خرجت وصلت ركعتين لعل نزيف قلبها يطيب ويهدأ حتى غفت على سجادة صلاتها دون أن تشعر بأي شئ ..

***

قام بفتح الباب، دهس سيجارته بقدمهِ وأغلق الباب خلفه، أرتمى على الأريكة وابتسامة يملؤها الانتصار تعتلي ثغره حتى قاطعه " علي " متسائلًا عن سر تلك الابتسامة فهو يعلم كثيرًا أن خلفها مصيبة.

علي بشك : شايفك مبسوط يعني...

سيد بخبث : آه، النهاردة حققت انتصاري ف الحياة وخدت أعز حاجة كنت بتمناها

علي بفضول : طيب ما تحكيلي..

سيد بضحكة صفراء : لا الحاجة دي مش بتتحكي الحاجة دي بتعرفها لوحدك.

علي متصنعًا اللامبالاة : آه طيب، تصبح على خير.

سيد بلؤم : وأنت بخير يا عليوة.

مرَّ شهر وأنطفأ النور بقلب " نور "، تبدّل حالها كثيرًا، لم تكن بحالتها الطبيعية، أثارت قلق كل من حولها، ذبُلت كثيرًا، فقدت شهيتها ونصف وزنها تقريبًا، لا تتحدث مع أحد حبيسة غرفتها، قاطعت والدتها حديثها مع ذاتها لتخبرها بأن " هالة " بالخارج تريد رؤيتها لم تعطيها أي رد فعل فقط قامت وتحركت خلفها لترى هالة لعلها جاءت لها بالبُشرى التي تريدها..

هالة بلهفة : وحشتيني أوي يا نور، طمنيني عليكي...؟

نور بحزن : كويسة يا هالة، أنتي عاملة أيه؟ والشغل عامل ايه؟

هالة : متقلقيش كل حاجة بخير مش ناقص غير رجوعك لينا بخير.

نور بفضول : عملتي ايه في اللي قولتلك عليه؟

هالة : ظبط كل حاجة وده جواب الأستلام في فرع الأسكندرية، تقدري من بكرة تستلمي الشغل.

نور : مش عارفة أشكرك أزاي والله، ربنا يقدرني وأردلك جمايلك اللي مغرقاني دي.

هالة بعصبية : بس يا عبيطة أنتي أختي وبعدين قبل ما أنسى ده مفتاح الشقة متقلقيش محدش هيضايقك خالص هناك وأنا خليت حد ينضفهالك ويحط أكل في التلاجة عشان متتعبيش نفسك، المهم هستناكي تحكيلي كل حاجة حصلت معاكي.

نور بأسف : حاضر.

هالة : المهم تيجي بكره تمضي النقل بتاعك وتسلمي علينا وكمان المدير قاللي محتاجك في خدمة تعملهاله قبل النقل.

نور : تمام حاضر بكره الساعة عشرة هتلاقوني عندكم.
هالة : ماشي يا حبيبتي تجيلنا بالسلامة يارب، يلا بقى همشي أنا عشان متأخرش.
نور وهي تحتضنها : متشكرة أوي يا هالة ربنا يجعله في ميزان حسناتك يارب.
هالة بابتسامة : أنا جنبك يا " نور "، أي وقت تحتاجيني هتلاقيني قدامك.
نور بامتنان : ربنا يباركلي فيكي يارب.
هالة : يلا سلام يا حبيبتي.
نور : سلام

***

يتناولوا العشاء في صمت، وكل منهم غارق في تفكيره قررت أن تفاتحهم في موضوع السفر فلابد من أقناعهم فهي ليس أمامها حل غير ذلك.
نور : بما أنكم متجمعين، أنا عايزة أقولكم أنه شغلي أتنقل وبقى في فرع أسكندرية ودي ترقية يعني لأني هكون أنا اللي ماسكة الفرع هناك.
عبده : بس مينفعش يا " نور " تكوني لوحدك هناك مش هطمن عليكي.
هدى : لا طبعا أنا مش موافقة، أنا بموت من القلق عليكي وأنتي هنا تروحي بعيد وتشتغلي
إن شاالله عنك ما أشتغلتي أصلا .

زياد : فكرة حلوة أوي يا نور فيها فلوس كتير دي الله يسهلك..
نور بهدوء : بابا أنا هقعد في شقة " هالة " صحبتي محدش قاعد فيها خالص ومش بيروحوها هي ولا أهلها وقافلينها وأنا أجرتها منها وقريبة على الشركه خالص بيني وبينها عشرين متر بس.
هدى بعصبية : وأنا قولت لا يا " نور " حتى لو أبوكي أقتنع.
نور : ممكن يا ماما تفهمي إني بقيت كبيرة وبعرف أشيل مسؤولية كويس.
زياد : فعلا يا ماما أنتي محتاجة تفهمي ده كويس عشان خوفك علينا منعنا من حاجات كتير.
عبده ناهيًا النقاش : على العموم يا " نور " هشوف وأرد عليكي.
نور باستسلام : تمام يا بابا هستنى ردك.
هدى بإنفعال : طبعا ما أنا مبقاليش كلمة في البيت ده.
نور: ممكن يا ماما تهدي وتفكري في الموضوع من ناحية مستقبلي وتديني قرار بعيد عن عاطفتك.

هدى بخضوع : ماشي يا ست " نور " لما نشوف أخرتها.
- انتهت من تناولها للطعام وقامت لتقرأ وردها وتسبح في نوم عميق، فغدًا ينتظرها الكثير والكثير ...

أشرق صباح يومًا جديد، قام ليؤدي فريضته ومن ثم يذهب لعمله، وجد " سيد " نائم على الأريكة دعا الله أن يهديه ويرده إليه ردًا جميلًا .

أما في منزل " نور " كانت تستعد لتذهب للشركة وتمضي جواب النقل
هدى : برضو هتنفذي اللي في دماغك يا " نور " ؟
نور : كل قرار باخده يا أمي بكون عارفه عواقبه كويس فمتقلقيش هكون بخير لو اتنقلت والله.
هدي : طيب يا بنتي ربنا يريح بالك، وخلّي بالك من نفسك.
نور بابتسامة : حاضر يا أمي.. سلام.

بعد مرور ساعة كانت أمام الشركة، تحاول كبت رغبتها في البكاء، فهي تحب الشركة وأصحابها كثيرًا لم تكن تتخيل أنها تتركها بتلك البساطة ولكن " ***أحيانًا الظروف تجبرنا على التضحية بأحب الأشياء إلى قلوبنا لعلنا نستريح ولو قليلًا من كل تلك الآلام*** "..
يجلس " معتز" بمظهره الجذاب، لم يتعدى الخامسة والثلاثين من عمره وبالرغم من ذلك إلا أنه مدير ناجح وخاصة في مجال السياحة فالبعض يطلق عليه " النسر "، معروف بقوة شخصيته وروحه المرحة فهو لم يتعامل مع الموظفين إلا بكل خفة ولذلك يحبونه كثيرًا ويتعاملون معه كأخ كبير، منهمك في عمله، أمامه الحاسوب الخاص به، يتفقد أحد الإيميلات الخاصه بالشركة حتى قاطع تركيزه صوت طرقات على الباب.
نور : السلام عليكم
معتز بابتسامة واسعة : أخيرًا، نورتي شركتك يا شيخة..

نور بضحك : للدرجادي كنتوا مفتقديني
معتز: آه والله، طمنيني يا " نور " أنتي بخير ؟!
نور وقد لمعت عيناها : أنا مش بخير بس هبقى بخير قريب أوي.
معتز بحزن : أقدر أساعدك في أيه؟
نور وقد استجمعت قواها : حضرتك وافقت على النقل، دلوقتي همضي وهقضي وقتي في أسكندريه وقبل ما أكون خلاص هرجع هبلغ حضرتك.
معتز: تمام، نور الفرع هناك هيكبر بيكي، أنتي قد المسؤلية وأنا واثق من حاجة زي دي.
نور : بإذن الله أكون قد الثقة دي، بس حضرتك " هالة " بلغتني أنك محتاجني في حاجة؟
معتز: أه بصي الجواب ده عايزك تروحي تسلميه في فندق ...، لواحد أسمه " أحمد معروف" أنا مبلغه بأنه حد هيوصله ليه وأنا الصراحة مش هآمن لحد غيرك في المهمة دي.
صمتت قليلا، بمجرد أن ذكر أسم الفندق وقلبها أصبح ينبض بشدة، كيف تراه وهي التي كانت تخشى المقابلة، كيف ستكون المواجهة ؟، هي تحبه ولكن دفنت تلك الحب في قاع قلبها منذ تلك الليلة بالتحديد، فاقت من شرودها على طرقات " معتز" على المكتب..
معتز: أيه يا بنتي روحتي فين؟
نور بحرج : معلش سرحت، خلاص تمام ماشي.

معتز مسلمًا إياها الجواب : أهو وأبقي طمنيني عليكي على طول وأنتي في أسكندرية وأنا هتابع معاكي الشغل من هنا.

نور وهي تودعه : حاضر .. تمام..

معتز بصوت حزين : خلي بالك على نفسك يا " نور ".

نور : حاضر، شكرًا لحضرتك .

تركته وغادرت، هي لم تكن موظفة عادية وحسب، هي نور عيناه، لم يشعر قط بتلك الأحاسيس تجاه أي فتاة أخري، لم تكن لديه الجرأة على الاعتراف ولكن يكفي بوح عيناه بكل شئ، طيلة الشهر الماضي وهو يفكر بها، في ابتسامتها التي أوقعته في شباك الحب، حركتها داخل الشركة وروح المرح التي تضيفها على أي شئ يحدث، أنطفأ النور بمجرد أخباره بأنها تريد الأنتقال إلى الفرع الثاني، لم يتحمل الحزن الذي سيطر عليه، أغلق الحاسوب وترك الشركة بالكامل ليذهب إلى صديقه المفضل " النيل " ويروي له كل ما حدث لعل جرح قلبه يهدأ قليلًا ..

***

يجلس على مكتبه الخاص به، وبجانبه " أحمد "، يراجعون عدة أوراق خاصه بالحسابات حتى أتّى على مسامعهم صوت أنثوي رقيق يتحدث مع صديقهم " علاء " بالمكتب المجاور فتلفظ قائلًا:

أحمد : أيه القمر ده..؟!!

علي بلهفة : دي " نور " .

أحمد بعدم استيعاب : " نور " مين ؟

علاء مقاطعًا لهم : " أحمد " كلم الآنسة محتاجاك.
علي بشوق : أزيك يا " نور " عاملة أيه؟
نور بخجل يكسوه الحزن : الحمدلله يا " على " أخبارك أنت ايه؟
علي : الحمدلله ماشي الحال، في حاجة معاكي ولا إيه؟
نور : أستاذ " معتز " باعتني أدي الجواب ده للأستاذ " أحمد معروف ".
أحمد متدخلًا : أها أتفضلي..
شعرت بدوار يغزو رأسها، حاولت التماسك ولكن هيهات.. فقد وقعت مغشيًا عليها، وكانت يد "علي " أسرع ليأخذها بين أحضانه قبل أن ترتطم بالأرض .
علي بقلق : هات مية بسرعة يا " أحمد ".
أحمد بسرعة بالغة : أهو خد فوقها بسرعة.
حاول أفاقتها وبعد مرات عديدة استجابت، قامت مفزوعة من بين يديه، تعتذر له بشدة عما حدث.

نور بأسف : بعتذر جدا، أتفضل يا أستاذ " أحمد " الجواب ومعلش خضيتكم عليا.
علي بقلق : تعتذري إيه بس أنتي مفطرتيش ولا أيه ؟
نور : لا لا فطرت، دول شوية أرهاق مش أكتر.
أحمد : طيب أرتاحي شوية على الكرسي لحد ما تبقي كويسة وبعدين أمشي.
نور بإصرار: لا مفيش داعي خلاص، بعتذر لكم مرة تاني على الخضة دي.

علي : ثواني يا " نور " أنا هروح معاكي.
نور : لا.. لا خليك أنا لسه هعمل كام مشوار.
علي : ماشي، هاجي معاكي برضوا.
لم يكمل جملته حتى أغشي عليها مرة ثانية، لم يتردد بل حملها وتحرك سريعًا ناحية البوابة القريبة المؤدية للشارع ليوقف سيارة أجرة وينقلها بسرعة إلى أقرب مشفي.
نصف ساعة ووصل إلى المستشفي، حملها منه الممرضين على ترولي ومن ثم تم عرضها على الطبيب، طول فترة الفحص والقلق كاد يفتك برأسه، لأول مرة يشعر بأنه ممكن أن يفقدها بأي لحظة.
الطبيب : مبروك المدام حامل ودول شوية اجهاد وهيروحوا لحالهم، ياريت تهتم بأكلها كويس وترتاح.
علي ببلاهة : حضرتك بتكلمني ؟
الطبيب بضحك : مش أنت جوز المدام " نور "؟!
علي بصدمة : آآآه...
الطبيب بضحك : شكلك مش مصدق، على العموم مبروك يا باشا.
تركه ليدخل في نوبة ضحك عميقة، لم يستوعب أي شئ، تتردد جملة " مبروك المدام حامل " على مسامعه مما يجعله يضحك بشدة، خرجت وهي تتكئ على الحيطان وكأنها أصبحت عجوز فجأة، شاحب لونها، هيئتها لا تدل على أنها " نور "، تبدل حالها في لحظات، عمّ الصمت على الموقف، لم

ينطق بحرف فقط جذبها من معصمها لخارج المشفي، أخذ ينهرها بشدة وبأعلى طبقات صوته صارخًا فيها:

علي : وعملالي فيها الخضرة الشريفة، وأنا اللي كنت بقول مفيش زيك في الكون

نور : .....

علي باستهزاء : طبعًا، هتردي تقولي أيه ما أنتي مش هتلاقي كلام تقوليه أصلا..

- تنظر له وعينيها مليئة بالدموع، لا تستطيع التفوه بأي حرف، فقط فضلت الصمت، هو لم يعرف أي شئ وأطلق أسوء حكم عليها، ماذا لو يعرف بأن أخيه هو من فعل بها هكذا !

سيغفر لها ؟!.

نظرت له نظرة لم يفهم معناها تركته ورحلت، لا تعرف آين تذهب بعد ذلك الخبر، يا لوجع قلبها الذي يغزوها، أيعقل أنها تحمل روحًا أخرى بداخلها ومِن مَن ؟!

" سيد " الذي تبغضه طوال حياتها، تتمني لو أن يقبض الله روحها الآن، أو تتخلص هي منها فتفر كافرة إلى ربها، لا تعلم كم مر من الوقت وهي تسير في الشوارع مسلوبة الإرادة، استفاقت من شرودها على آذان العشاء فقررت العودة للمنزل وتحضير حقيبتها، لتترك تلك القاهرة وكل من تعمد أذيتها، حتى أنها لن تفكر في الرجوع مرة أخري، فقد قُهرت بما يكفي .

الفصل الثالث

" حتى وإن كانت الأوطان أشد حبًا لنا من ساكينيها، فأحياناً يتوجب علينا المغادرة لنُلملِم بقايا أرواحنا " ..

نهى شعبان

هدى بقلق : " نور " يا حبيبتي أخيرًا جيتي، كدا يا قلب أمك تقلقيني عليكي.
نور بحزن : معلش يا ماما أتأخرت شوية في الشركة، عشان أخر يوم وكدا.
هدي : مالك يا بنتي فيكي حاجة؟، حد مضايقك؟ قوليلي وأنا أكسرهولك.
- كأنها كانت تنتظر أن يسألها أحد عن حالها حتى تبكي بمرارة، كغريق يحاول أن يتفادي الموج فتغدر به وتأخذه معها لأخر المحيط، هكذا هي حياتها، لا تسلم من الصدمات منذ فترة، ورغم كل ذلك لم تتزعزع ثقتها بربها فهي تدعوه كثيرًا، أن يمر كل شئ وبسرعة.
هدى بحزن : مالك بس؟، يارب خد حزنها وحطه فيا يارب..
نور ببكاء : متخافيش يا ماما هبقي كويسة، أدعيلي ربنا يخفف عني يا أمي أدعيلي كتير
هدى ببكاء على حالة ابنتها : بدعيلك يا حبيبتي والله روحي ربنا يسترك دنيا وأخرة ويجعلك من الفرحة نصيب يارب.

وبالرغم من أن الدعوة أصابت عمق قلبها إلا أنها استجمعت قواها لتخبرها بقرار رحيلها في الصباح، فلم يتبقي لها أي شئ في هذه البلد سواهم، ولكنها سوف تهاتفهم من فترة لأخرى.

***

يجلس على السرير واضعًا رأسه بين كفيه، يتمنى لو كان ما حدث معه اليوم مجرد كابوس وسينتهي بعد استيقاظه، أخذ الزهرية الموضوعة على الكومودينو الخاص به وضربها بعرض الحائط لتصبح لا قيمة لها، يضحك بكل سخرية على طفولة مشاعره تجاهها، يوّد لو ينتزع قلبه من صدره، للحظة شعر أنه استعاد وعيه فجأة فقرر أن يلملم الزهرية ويفرش سجادته ويصلي ركعتين يناجي بهم ربه ليهدئ من الأوجاع التي تهاجم جسده فجأة، ويسأله أن يكون خاطئ في كل ظنونه .

بمجرد أن أنتهى من صلاته، سمع عدة طرقات على الباب، فخمن أنه " سيد " قد نسى المفتاح الخاص به ولكنه وجده " ميدو "..

علي : تعالى يا ميدو عامل ايه؟

ميدو : الحمدلله.. أنت عامل ايه؟ وحشتني أوي.

علي : وأنت أكتر يا بطل، مبتذاكرش ليه يا أستاذ؟

ميدو بملل : عادي مليش نفس.

علي بتفاهم : يعني هتيجي في الأخر وتخيب يا " ميدو " ده اللي متفقين عليه؟!

ميدو : عادي شوية زهق وهيروحوا لحالهم متقلقش.

علي باستنكار: لا أنت في حاجة معاك هروح أعملنا كوبايتين قهوة وأجي تحكيلي.

يريد أخباره بالحقيقة كاملة قبل أن يعرف بمفرده فيرتكب جريمة، هو معجب بحبهم الصامت لبعضهم البعض، يعشق خجل " نور " عندما تأتي

سيرة " على "، ويحب كلام " على " وكتاباته عنها، ولكن الوعد اللعين ذلك الحد الفاصل بين التحدث بالحقيقة كاملة وبين زعل " نور " عندما تعرف، يرهقه تفكيره، أصبح لا يفكر بشئ سوى ذلك الموضوع، قاطعه " علي" بعد أن كاد يخترق صوته آذان الحي.

علي : ايه يا ابني روحت فين؟ ليا ساعة بنادي..

ميدو بعدم تركيز: معلش سرحت شوية.

علي : أنت في ايه معاك؟ أحكي يلا كدا.

كاد يحكي كل شئ ولكن ضميره جعله يتراجع في أخر ثانية، مهما كان هو لم يخون الوعد

ميدو: مفيش ضغط المذاكرة وانا مليش نفس لأي حاجة.

علي : ممم، هحاول أصدقك بس هستناك تيجي تحكيلي زي ما متعود.

ميدو: خلاص وعد لما تيجي المناسبة هحكيلك.

علي :تمام.. يا بطل.

***

في التاسعة صباحًا، كانت تمشط شعرها وتستعد لارتداء حجابها حتى أتاها صوت " زياد " لتتناول معهم الفطور جلست صامتة فوجه لها والدها الكلام..

عبده : أنا واثق فيكي يا " نور "، وعارف إني سايب راجل في بلد تاني.
نور بألم : وأنا قد الثقة دي يا بابا.
زياد : تعرفي يا بت هتوحشيني والله.
هدى: أوعديني تخلي بالك من نفسك يا " نور "
نور بأبتسامة : أوعدك يا هدهد الجناين.
أنتهت من طعامها وحمل " زياد " حقيبتها للخارج، ودّعتهم بطريقتها الخاصة فهي لا تريد أن تترك بداخلهم ذرة واحدة من القلق.

***

علي الناحية الأخرى كان يجلس شاردًا، غير عابئًا بما يحدث حوله، يتحدث معه " أحمد " ولكن بلا فائدة، لا يستمع لأحد هو يشعر بأن هناك جزء مفقود ولكن لا يعرف كيف يبدأ البحث عن الحقيقة، الأمر متعب للغاية .
أحمد : طيب مش هتفهمني مالك.
علي : كل اللي أقدر أقولهولك أني طلعت مغفل أوي.

أحمد : أزاي..؟ وقصدك على مين.؟.. " نور " ؟
علي بحزن : أيوة..
أحمد : طيب لو حابب تحكيلي يا صاحبي أنا موجود.

لم يشعر بذاته إلا وهو يحكي كل شئ حدث معه، وبالرغم من أن ضميره يؤلمه إلا أنه شعر للحظة أن الثقل الذي يعتلي قلبه ذاب فجأة، هو يحب أحمد ويثق به كثيرًا، ويثق أيضًا أنه لن يندم على حديثه معه.

أحمد بصدمة : أزاي يا " على " اكيد في حاجة غلط أحنا مش فاهمينها.

"علي" : بتمنى يا " أحمد "، أنا هبدأ أدور وأعرف مين اللي عمل كدا، أو على الأقل أوصلها هي وأتكلم معاها وتقولّي كل حاجة.

"أحمد" : بس متنساش أن الكلام اللي قولتلهولها صعب جدًا، ولو كنا فعلًا ظالمينها استحالة تسامحك يا "على".

علي بألم يجتاح قلبه : أنا خايف من كدا.

"أحمد" : على العموم أنا معاك شوف هتعمل إيه وأنا جمبك في أي وقت يا صاحبي.

هي عدة كلمات بسيطة ولكنها طمئنت قلبه، فقد كان بحاجة إليها كثيرًا، "***قدائمًا تظل البساطة بداخلنا رغم تعقد جميع الأمور***" .

***

تأكد من أنها بخير ولا ينقصها شئ، فقام باحتضانها بشدة وودّعها، وألقى عليها عدة نصائح فبالرغم فارق السن بينهما إلا أنه يعتبرها ابنته وليست أخته فقط.

وصل إلى المحل وألقى السلام على أبيه بعد أن طمأنه بأن " نور" لديها أقل من ساعة ونص وتصل إلى الأسكندرية.

أخبره والده بأنه سيذهب لصديق له بالحارة المجاورة وعليه أن ينظم المحل لحين عودته .
دقائق قليلة تأكد من رحيل أبيه، فأندفع إلى الغرفة الداخلية ومن ثم إلى الخزنة، ثواني ليتذكر شكل الرقم السري الذي كان يدخله " عبده " منذ فترة، لم يحالفه الحظ في المرة الأولي، فأدخل بعض التغييرات وحالفه الحظ تلك المرة فأنفتحت أمامه الخزنة وصُدم من كمية الأموال الموجودة بداخلها، أدرك أنه لا مجال للصدمة حاليًا فقرر أن يأخذ رُزمتين تكفيه لأسابيع قادمة .

***

مرت الأيام ولا جديد يحدث، استقرت " نور " بعملها الجديد ورحبوا بها كثيرًا ووجدت الألفة بينهم، أما " على " فهو يبحث عنها ولا يجدها ينتظرها كل يوم ولكن بلا فائدة، " سيد " يعيش بعالمه الملئ بالشبهات، " عبده " يتفق على الشحنة القادمة، أما " ميدو " فلم يتبقى إلا أسبوعان فقط على اختباراته وأخيرًا " زياد " بدأت حالته تسوء بفعل تلك المخدرات اللعينة .

***

يجلس يشاهد التلفزيون ولكن عقله معها، يريد أن يراها، أفتقدها بشدة، فتح الصفحة الخاصة به وكتب " كنت على دراية من البداية بأن الإنسان

لا يستطيع الحصول على كل شئ، ولكنكِ كُنتِ كل الأشياء التي أود الحصول عليها، لماذا تركتِ كل تلك الندوب بداخلي؟!! "

وبمجرد أنتهائه كان " ميدو " يطرق الباب بطريقته التي تستثير غضبه.

علي : وبعدين في خبطتك الباردة دي يا زفت.

ميدو : المفروض تقولّي وحشتني، فينك مش تستقبلني بالطريقة دي.

علي : ليه هو أنت حبيبتي يا زفت؟!!

ميدو متصنعًا صوت أنثي : هو أنت تطول ؟

علي بغيظ : قول عايز ايه ؟

ميدو بتردد : كنت عايز أقولك موضوع بخصوص "نور".

علي بلهفة : أحكي بسرعة، مالها، تعرف مكانها، أو أي حاجة عنها..؟؟

ميدو : قبل ما أحكي توعدني أنك متقولش أي حاجة لحد خالص، ولا تعمل أي تصرف متهور

علي بحماس : أوعدك بس أنجز وقول يلا.

ميدو بتنهيدة بعد أن أغمض عينيه ليتذكر ذلك اليوم.

كنت راجع من الحصة يوم الخميس، وكنت متأخر ملقتش مواصلات خالص، وروحت من ناحية " الخرابة " والدنيا كانت ضلمة، سمعت صوت حد بيتألم قولت مليش دعوة وكملت مشي، بس الصوت بدأ في الزيادة روحت نورت كشاف الفون وقربت وكانت الصدمة كلها لما لقيتها بنت، والصدمة الأكبر لما لقيتها " نور "، فضلت أحاول أفوقها، كانت حالتها

صعبة جدا وهدومها مقطوعة، شيلتها بسرعة وخدتها على أقرب مستشفي، بعد ما طلع الدكتور كانت صدمة بالنسبالي لما قالي أنها مُغتصبة .
أخذ شهيق وزفير ثم أكمل حديثه:
فجأه لقيت الدكتور بيقولي مينفعش تمشي غير لما يتعمل محضر، وهي صممت أنها تمشي قبل ما يجي الشرطي وبالفعل خدتها ومشينا وفضلنا طول الطريق نحكي لحد ما عرفت أنه واحد زبالة هو اللي عمل فيها كدا.
علي بغضب جامح : مين يا " ميدو "؟؟؟، أنطق!!
ميدو: مش مهم، المهم أنك عرفت اللي حصل عشان لو جات فرصة متظلمهاش، وخليك عارف أنه" نور " اتظلمت فوق ما تتخيل.
علي بغضب متزايد : مين بقولك أنطق؟؟؟
ميدو بصوت متحشرج :..... " سيد "...
علي صدمة : أنا اتوقع أي حاجة يعملها، بس إلا دي بالذات معقولة توصل بيه لكدا ؟
ميدو بأسف : " نور " أعترفتلي بكل حاجة.
علي بذهول يكاد يشل عقله عن التفكير: يعني " نور " حامل من " سيد ".
ميدو بصدمة : اييييييه، حامل ازاي؟؟؟
قصَّ له كل ما حدث أثناء مقابلته مع " نور "، حتى أنهى حديثه بالدموع وهي تزدرف على مقلتيه.

أخذ " ميدو " يهدئ من روعه، ولكن بلا فائدة فهو ظلمها، وأهان كبرياؤها بكل سهولة، لم يكن يَعي أنه سيدفع ثمن ذلك ببعدها عنه.

علي بحزن : طيب أنت متعرفش هي فين أو ممكن تكون فين لأني مش بشوفها خالص

ميدو : أنا سألت ماما " هدى " وقالتلي أنها في أسكندرية جاتلها فرصة شغل أعلى.

علي بفرحة : هلاقيها يا " ميدو " ومش هتخلى عنها خالص.

ميدو بخوف : طيب وهتعمل ايه في المصيبة بتاعة حملها.

علي بشرود : ألقاها بس الأول ونحكي ونشوف هنعمل ايه؟؟

أما " سيد " ده فحسابه تقل أوي عشان هو عمل كدا لأنه متأكد أنه " نور " نقطة ضعفي.

ميدو : أرجوك أوعى تقولها حاجة، وأنت لما تشوفها أوعى تبين ليها أنك عرفت حاجة مني.

علي : متقلقش مش هجيب سيرة أصلا.

ميدو بامتنان : شكرًا يا " علي " هروح أنا بقا أذاكر وأدعيلي كتير.

علي : متقلقش يا حبيبي هتكون الدكتور " ميدو " كلنا واثقين فيك.

ميدو بابتسامة : يارب يا علي... سلام.

علي مودعًا إياه : سلام.

***

يجلس مع شلة السوء، غير مبالٍ بما يحدث حوله نتيجة لعقله المغيب، يعترف بكل ما يفعله ولكن لا أحد ينتبه لما يتفوه به، فهم أيضًا مغيبون لا يهتمون إلا بالأستمتاع بكل تلك اللحظات، التي حتمًا سوف تودي بحياتهم إلى الهلاك.

رفاعي بسُكر: أمال موزة المنطقة " نور " فينها مش ظاهرة الواحد نفسه يدوق..

سيد بتفاخر: دي أتعلم عليها يا باشا ومن مين مني أنا...

رفاعي : تربيتي طول عمرك، بس أيه طمنا طلعت حلوة ولا...

سيد وهو يضغط على شفتاه بتقزز : حلوة بس، دي تطير البرج اللي في نافوخك..

هاني وشهرته "بلية " : فككم أنتوا، البرشامة دي عملتلي دماغ جامدة أوي هاهاها...

رفاعي بسخرية: ما أنت مش فالح غير تشرب وبس، ملكش في جو الحريم اللي بيخلي الواحد طاير فوق ده..

بلية : مليش في الجو ده، كفاية عليا البرشام.

سيد بسخرية : ملكش ولا متعرفش.

ضحك الجميع على سخرية " سيد " اللاذعة، وقضوا ليلتهم وهم يتحدثون عن معاركهم الليلية مع نساء تلك المنطقة اللعينة.

***

استيقظ على صوت المنبه بجانب سريره، ليطفئه ويذهب للمرحاض كي يتوضأ ويؤدي فريضته..
هاتف " أحمد " ليخبره بأنه سوف يتأخر قليلًا عن موعد ذهابه للعمل، فهو بحاجة لشراء بعض الطلبات التي تخص المنزل بعد ساعتين كان أنتهى من شراء كل شئ وذهب للفندق ليستعد لبداية يومه.
أحمد : أيه يا وحش طمني عامل ايه؟
علي بتنهيدة : عرفت أنها في أسكندرية، بس معرفش فين بالتحديد وعرفت مين اللي عمل فيها كدا.
أحمد : ومستني ايه طيب مش هتدور عليها؟
علي : مستني كام يوم وأبدأ أخطط وأروحلها.
أحمد : ربنا معاك يا صاحبي وأتمنالك تكون ظالمها.
علي بأسف : أنا فعلًا ظالمها.
أحمد : ربنا يطمن قلبك ويريح بالك يارب ويجمعكم على خير.

لم يكن بحاجة إلى تبرير موقفه، أو يحكي له ما حدث لأن الوقت ليس مناسبًا لذلك الموضوع بالتحديد فقد أصبح ذلك الموضوع خصوصي بدرجة كبيرة بينه و بين أخيه " سيد " .

***

الساعة السابعة مساءً، يجلس يشاهد التلفاز حتى قاطعه صوت هاتفه فالتقطه ليشاهد رقماً غريباً ليس مصرياً يتصل به، قرر أن يجيب ليعرف من ذلك المتصل وبداخله شعور متضارب، قلبه ينبض بشدة، لا يعرف السبب ولكن لأول مرة يهاتفه رقم هكذا.

محمود : ألو ...

علي بصدمة : بابا...

محمود باستعجال و لهفة : أسمع يا " علي " أنا حاليا في إيطاليا أوعى تقول لأخوك على حاجة ولا تقوله إني كلمتك حتى، وأنا كمان كام يوم هكلمك تاني.

علي باستغراب : سافرت أزاي إيطاليا؟؟!

محمود بحنان الأب : مش وقت الكلام ده ، وحشتني أوي يا ابني.

علي : وأنت يا بابا والله.

محمود : خلي بالك من نفسك لحد ما أكلمك تاني... سلام

لم ينتظر أن يرد عليه، أغلق المكالمة، وفتح عدة تساؤلات بداخله، لا يستطيع الإجابة عنها إلا عندما يهاتفه مرة أخري.

الفصل الرابع

" أحيانًا لا نحتاج لفرصة ثانية، فقد أخذنا نصيبنا من الحزن
بما يكفي لنطوي تلك الصفحة دون الرجوع إليها "

نهى شعبان

في المستشفي

كان يرقد على الفراش الخاص به وحالته في تحسن، رافضًا تمامًا فكرة التجاوب مع الشرطي فكان يتظاهر أنه مريض للغاية ولا يستطيع الحديث مع أحد، قام ليتحرك فوجد أن الجرح يؤلمه ولكن بشكل بسيط فقرر أن يهرب في اليوم التالي بعدما يتأكد من عدم وجود أحد بالخارج، دخل "علي" فوجده منهمكاً في التفكير، فقاطعه وأخذ يتحدث معه بفكاهية لعله ينسى ما حدث له ولو قليلاً...

محمود : بقولك ايه يا " علي " هو أمين الشرطة ده مشي ولا لسه؟

علي : لا يا بابا تقريبًا مشي وقال هيجي بكرة يستجوبك.

محمود بتفكير: طيب كويس، مقالكش هيجي أمتي طيب؟

علي بعدم فهم : لا مقالش بس ليه؟

محمود : لا مفيش بسأل عادي..

علي بقلق : أنت كويس يا بابا؟

محمود مدعيًا المرض : تعبان يا ابني وعايز أنام ،يلا قوم أنت روح وخلي بالك من أخوك.

علي بأصرار: لا هقعد معاك.

محمود : متتعبنيش معاك يا ولدي، يلا روح وأبقى بكرة تعالى.

علي : خلاص يا بابا أنا مروح.

مرَّ ساعتان على ذهاب " علي "، أصبحت الساعة الواحدة صباحًا، يسود الهدوء طرقات المستشفى، أخذ يتسحب كاللصوص حتى لا يراه أحد، يتنقل بين الطرقات على أطراف قدميه، متغلبًا على الآلآم التي تهاجم جسده الضئيل قرر الهرب فجأة فقد سنحت له الفرصة ولم ينتظر الغد، خرج من الباب الخلفي للمشفى، وتسلق إحدى سيارات النقل الضخمة، هو لم يكن يخطط للهرب من المشفى فقط ولكنه خطط للهرب لخارج مصر تمامًا، ليترك كل أثار الماضي، وأبنائه وذلك الحي الذي يقطن به، يحتاج أن يبتعد ليعيش حياة جديدة خالية من مخدرات " سيد " ومن هدوء " علي " المتلازم، فقرر الرحيل دون رجعة حتى وإن كان على حساب ذاته .

في صباح اليوم التالي، كان " علي " بالمشفى يسأل الطبيب عن حال أبيه ولكنه صُدم مما قاله له .

علي : صباح الخير يا دكتور، أخبار حالة بابا ايه ويا تري يقدر يطلع ولا لا؟
الطبيب بأسف : الحاج " محمود " هرب من المستشفي كلها وملقنهوش خالص دورنا في كل حتة في المستشفى وبرضو مفيش فايدة ومنعرفش راح فين؟
علي بذهول : أزاي يعني ؟

الطبيب بهدوء : حضرتك أحنا منعرفش دخلنا الساعه ٣ الفجر ملقنهوش في الأوضة لحد الصبح بندور، وقدمنا بلاغ للشرطة وسيبنا الباقي عليها عشان أحنا كدا عملنا اللي علينا وزيادة.

علي بخيبة أمل : تمام، متشكر جدًا

تركه وغادر ليسبح في حزن أفكاره، مشتت لا يعرف ماذا يفعل الآن ؟ ماذا يقول لأهل الحي، هم يعلمون بأنه مريض ويرقد بالمشفى لحين شفاؤه، ولكن هل يخيل عليهم بأنه قد توفي وتم دفنه دون علمهم ؟!

أخذ يفكر كثيرًا، حتى توصل إلى هذا القرار، سوف يبلغ الجميع بأنه توفي ويؤكد على " سيد " بأن يُدلي بذلك هذا أفضل من فكرة الهروب .

مر أسبوع وأسئلة أهالي الحي عن حال " محمود " في تزايد حتى أخبرهم كل من "سيد " و"علي " بوفاته وأنه تم دفنه بواسطة العائله فقط والعزاء كان بالمقابر.

***

حالفه حظه تلك المرة فالشاحنة التي تسلق عليها، ذاهبة إلى مطروح، وكانت هي وجهته، وصل بعد ساعات بعدما كاد يسقط أكثر من مرة فهو فحاجة كبيرة إلى النوم.

وفي صباح اليوم التالي وبالتحديد في محافظه مرسي مطروح، يجلس " محمود " في منزل صديقه الشيخ " طه "، يتسامرون عن أحوالهم.

طه بحنين : واحشني يا راجل يا طيب والله

محمود : أنت أكتر والله يا شيخنا، عامل ايه؟
طه : الحمدلله على كل حال، مش عوايدك يعني جاي على غفلة مالك فيك ايه ؟ عيالك بخير وكويسين ؟
محمود بأسى : مش كويسين، " سيد " طلع عيني وهو السبب في إني أهج وأجي على هنا بدون علم حد.
طه بتساؤل : ماله عمل ايه؟ وأنا أجيبهولك هنا وأكسرهولك.
محمود بحزن : سيبك منه أنا خلاص تعبت منه والله، أنا جايلك متعشم فيك في خدمة وجيتلك أنت مخصوص.
طه : أنت تؤمرني يا " أبو علي "

محمود : أنا عايز أطلع برة مصر ومحدش هيقدر يساعدني في حاجة زي دي غيرك.
طه : احنا كبرنا على الكلام ده يا " محمود "، مش باقيلنا في عمرنا كتير خلينا نعيش اليومين دول هنا لحد ما ربنا يأذن وياخد أمانته.
محمود بحزن : أنا بعد اللي حصل ده مبقاليش عيشة في البلد دي صدقني، كفاية خالص اللي حاصلي لحد كدا.

تأثر بحال صديقه، تفهم من تلك الكلمات أنه مرَّ بظروف قاسية، فمن خلال خبرته لا أحد يقبل على تلك الخطوة إلا بعدما يتذوق مرارة الغربة في

موطنه، فحينها يجد الغربة الحقيقية أحن عليه من القسوة التي يعيش فيها.

طه : خلاص يا " محمود " يومين وهرد عليك.

محمود براحة : كنت عارف أنك مش هتخذلني، ونعم الصاحب والله.

طه : أنا في الخدمة على طول، اللي بينا مش مجرد صحوبية دي عشرة سنين.

محمود : ربنا يبارك في عمرك يارب، هتقل عليك أقضي اليومين اللي جايين دول عندك.

طه : متقولش كدا يا أبو علي، إن مشالتكش الأرض تشيلك عنينا.

أنتهى الحوار بينهم وأنتهي اليومان بسرعة وجاء رد " طه " على " محمود " .

طه : النهاردة بليل هيتحرك مركب من مطروح هنا وهيروح على إيطاليا إيه رأيك ؟

محمود بسعادة : حلو قوي، موافق طبعًا.

طه : خلاص هتكل على الله أكلملك الجماعة وأتفقلك معاهم، بس عشان تبقي عارف الدنيا هتكون زحمة وخطر يعني لا قدر الله ممكن خفر السواحل يقابلكم في البحر ولو أتمسكتوا هيبقى مرمطة وقلة قيمة.

محمود : سيبها على ربنا عمر الشقي بقي يا شيخنا.

طه : خلاص على خير يارب، المهم أول ما توصل تكلمني تطمني على طول

محمود بامتنان : عمري ما هنسى جميلك ده أبدًا يا "طه "

مرت ساعتين، حتى دخل "طه" على "محمود" فوجده يجهز مستعدً للرحيل، وضع بجانبه شنطة صغيرة مليئة ببعض الأحتياجات الضرورية..
محمود : ايه دي؟
طه : دي شنطه فيها كام طقم ليك وشوية أكل كدا، يساعدوك في السفر.
محمود بشكر: تسلملي يا راجل يا طيب والله.

ودعه بحرارة، وتركه متجهًا إلى وجهته، يسأل الله أن يحفظه من كل سوء ويصل إلى إيطاليا بسلام، شعور غريب يجتاح جسده، يفكر في حياته الجديدة، هل سيكون سعيداً كما يتخيل؟
أم أن للقدر رأي أخر ؟ بمجرد أن وطأت قدماه في المركب، ارتعشت كل أجهزة جسده، يتمنى لو كان القرار سهلاً ليتخطى كل تلك الأحاسيس البغيضة، كل من في المركب يتضح عليهم مشاعر الحزن، يودعون أقاربهم بابتسامة مزيفة، فلا أحد يعلم ما مصيره بعد أيام، هل سيصلون إلى الأراضي الإيطالية بسلام ؟!!
أم سيقبض عليهم خفر السواحل ؟!
نفض رأسه من كل تلك الأفكار وأخذ يتمتم بعدة آيات يحفظها لم يتحرك المركب بعد، البرودة تقتحم الجو، شعر بتيبس أنامله، أغمض عيناه لعله يفتحها ويجد كل ما مر به كابوس ويعيش حياته بسعادة في إيطاليا، ولكن هل دوماً نحقق ما نتمناه بسهولة ؟
أم أنها مجرد أحلام وأوهام تسكن العقل؟!

بعد مرور أربعة أيام ....
في منطقة ما يجلس شاردًا منتظرًا الفرج، كاد يختنق من كثرة تفكيره، أخذ حجرًا وبدأ يرسم على الرمال التي أمامه حتى جاءه صوت من خلفه ينادي بأسمه فأفزعه
شحاتة : أنت " محمود"..؟
محمود : أيوة، أنت مين..؟
شحاتة : مش أنت كنت طالب شغل من يومين وزميل ليا قالك هكلمك وأخليك تقابل المدير.
محمود : أيوة حصل.
شحاتة : طيب يلا بينا.

تحرك معه فبعد دقائق سوف يتملك الوظيفة المرموقة وفي منتصف الطريق قام " المجهول " بوضع شريط على عيناه حتى لا يري شئ، وما زاده حيرة بأن " محمود " لم يعترض وهذه كانت خطوة إيجابية منه تعبر على أنه سوف يرضخ للتوجيهات دون أن يتعبهم فى شىء .
بعد نصف ساعة وصلوا إلى مكانٍ مهجور كالصحراء، بداخل بيت صغير يتكون من طابقين والبدروم، توجهوا إلى البدروم وأجلس " محمود " على كرسي وفي المقابل كان يجلس شخص أخر على كرسي كبير أمامه يدل على

أنه شخص كبير في المقام، لحيته يغطيها اللون الأبيض، وشعره يصل لأسفل عنقه، وكل من يدخل يعطيه التحية بعدة كلمات غير مفهومة .

شحاتة : أي أوامر تاني يا كبير؟

جوزيف : متنساش تاخد الباب في إيدك.

غادر " شحاتة " واغلق الباب خلفه تاركاً " محمود " لـ " جوزيف " .

" جوزيف " لـ " محمود " و هو ينظر له و يتفرسه :

طالما دخلت معانا الشغلانة دي يبقي مفيش خروج منها غير بموتك، أحنا شغلانتنا مش شركة زي ما أنت فاكر أحنا " مافيا "، ولينا مجموعة في كل دولة يعني متفكرش تلعب بديلك.

محمود بخوف : بس الراجل مفهمنيش كدا.

جوزيف بنظرة قاسية : بقولك أيه أنا عارف تحركاتك اليومين اللي فاتوا دول، وكنت عارفك بتسرق أزاي فمتجيش تعمل شيخ على صاحب البار.

محمود : ....

جوزيف بانتصار: على البركة، بص بقا أنت هنا بتاخد التعليمات مني أنا وبس، لقيتك ماشي عدل وشغلك عجبني هتلاقي نفسك مليونير وهخليك تلف العالم وتتمنى لو كنت تعرفنا من زمان، لقيتك بتعوج ولا بتلعب بديلك رقبتك وهعلقها على الباب برا وبنبرة صوت قوية مكملًا حديثه : مفهووووم؟؟

محمود بارتجاف : مفهوم..

جوزيف : دلوقتي هكلفك بمهمة مراقبة حد معين، وهديك موبايل نضيف، تصورلي كل حاجة بيعملها ولو نجحت في دي كويس هكلفك بمهمة متتخيلتهاش طول حياتك.

محمود : ممكن تشيلي الشريط اللي على عيني وتفك إيدي.

أيقن " جوزيف " أنه الآن أصبح يثق به، فهو خائف جدًا وهذا واضح على معالم جسده، فلن يخونه أو يغدر به ولذلك أعطى صوتًا لـ " شحاتة " ليفك يده وعيناه.

جوزيف بسخرية : إيه رأيك في شكلي حلو مش كدا .

محمود مسايراً إياه : آه حلو، هو دلوقتي المفروض أعمل إيه.

جوزيف وهو يمد له يده : ده الموبايل هتتحرك من دلوقتي مع " شحاتة " هيوصلك للطريق وهيوريك الشقه اللي هتسكن فيها، وهيعرفك كل حاجة عن الراجل ده، تفضل يومين تصورلي تحركاته كلها حتى لو حاجات ملهاش لازمة وتجيلي زي الشاطر عشان أشوف شغلك.

محمود بجدية : تمام يا باشا.

جوزيف بخبث : أنت شغال معانا أو تعرفنا.

محمود بذكاء : لا أنتوا مين أصلا ؟!!

جوزيف بتصفيق حار: كدا أنت بدأت تفهمني وأنا بحب اللي بيفهم بسرعة ويقول حاضر ونعم.

دلف إلى السيارة بجانب " شحاتة " وتحرك معه إلى المكان المقصود، أخذ يدلي له بكل المعلومات التي تخص ذلك الشخص المعني، حتى وصلوا فنزل "

محمود " من السيارة بعدما اشار له " شحاتة " على الفيلا التي يقطن بها، ومكان الشقة التي سوف يسكن هو بها .

استعد لمهمته بكل حماس فبعد أيام سوف يصبح غنيًا وها هي أمنيته تتحقق حتى ولو كانت بطريقة غير مشروعة، لم يفكر بأبنائه أو أي شئ أخر، يفكر فقط في المال كم سيجني؟ و بماذا سينفقه؟ .

دخل الشقة وأغلق الباب بأحكام، أنبهر بكونها مفروشة وكأنها شقة عريس، ابتسم بسخرية ومن ثم توجه للمرحاض ليتحمم وبعد ذلك يتناول وجبته وينام ليستيقظ ويبدأ مهمته بتركيز عالي.

لا يعرف بأنهم وضعوا له كاميرا مراقبة، تنقل لهم كل ما يفعله، لم يستطع النوم فقرر أن يجلس في البرندة لكي يستمتع بالهواء قليلًا ويدرس موقع الفيلا جيدًا.

أمسك الهاتف وفحص ما بداخله حتى أكتشف وجود شريحة، فوجد رقمًا بهاتفه لم يستجب في المرة الأولى ولكنه استجاب في الثانية فوجده " شحاتة " يطمئن عليه ويأمره ببدء العمل كما أخبره "جوزيف"، دقائق ليست بقليلة كان يحوم حول الفيلا ويصور الرجل وهو يتحدث في هاتفه مرة، ومرة وهو يلعب مع الكلب الهاسكي الخاص به، ومرة أخرى وهو يُقبل فتاة، وها هو قد وصل لتلك النقطة بالتحديد التي يريدها "جوزيف" تلك الفتاة !

صباح اليوم التالي، استيقظ على رنين الهاتف قام ليرد فوجده " جوزيف " يحثه على الاستيقاظ.

جوزيف بسخرية : مش كفاية نوم يا عريس؟

محمود بنعس : أهو قايم على طول..

جوزيف بثقة : تعجبني..

أنهى المكالمة وسمع صوت إنفجار يدوي في المنطقة، ركض مسرعًا نحو البلكون فوجد الفيلا الخاصة بالرجل المنشود تحترق بالكامل، والناس تسرع لإطفاء الحريق بأي شئ، وأحدهم يطلب استغاثة، والأخر يمسك هاتفه ويوثق اللحظة وكأنه تذكار رائع، صُدم من الحريق فهو ليس بحريق عادي غالبًا إنه متعمد من قبل أحدهم ولكن من ؟! ربط شريط الأحداث فى عقله بسرعة مذهلة ففهم على الفور المتسبب فى ذلك الحريق ولم يستثر فضوله أكثر من ذلك فقرر مهاتفته.

جوزيف : شوفت بقا أنا قادر أعمل إيه؟

محمود متصنعاً عدم الفهم : تعمل إيه أزاي ؟

جوزيف بغرور: أنا اللي فجرت الفيلا .

محمود بصدمة : أنت عادي كدا تعمل أي حاجة؟

جوزيف مقهقهاً : أي حد يجي علينا نفجره.

محمود : طيب أنا دلوقتي المفروض أعمل ايه ؟

جوزيف : تجيلي حالًا.

محمود : تمام، مسافة الطريق.
أدرك أنه سقط في بئر جحيم ولا يستطيع الخروج منه، حاول التقاط أنفاسه، فطالما دخل تلك المعركة أما أن ينتصر أو يموت ليس لديه حل آخر، جلس على أقرب أريكة ، مغمضًا عينيه يحاول تذكر كل ما مضى به حتى الآن ولكنه أدرك بأنه لابد أن يصل إليهم وبسرعة حتى لا يمسه ضرر منهم .

***

مرَّ شهر كاملا ومكانة " محمود " تزداد عند " جوزيف "، أصبح بارعاً في المهمات التي يعطيها له، استدعاه ليبلغه بخبرٍ هامٍ سوف يغير مجرى حياته وينقلها نقلة خاصة .
جوزيف : ضيفتلك مليون جنيه في حسابك، مستعد لأهم مهمة؟!
محمود بثقة : أكيد
جوزيف : النهاردة هتتواصل مع البيج بوص بتاعنا، عشان دخلت دماغه ودي خطوة حلوة ليك.

محمود بفرحة : أنا بشكرك يا " جوزيف " بيه أنك وثقت فيا بالدرجة دي، ويارب أكون عند حسن ظنكم دايمًا.

جوزيف : دلوقتي أحب أقولك أنك هتبقى ماسك مخدرات مصر منطقة " ب "

محمود بفخر: أنا قدها يا باشا، بس ممكن أعرف مين اللي ماسك منطقه " أ "

جوزيف بضحك : لا دي مفاجأة ليك.

محمود : وأنا بحب المفاجأت.

أعطاه الهاتف ليتحدث مع " فيليب " وهو المقصود بالبيج بوص، أخذ منه عدة تعليمات بعدما ترجم له " جوزيف " كل شئ بالعربية، بالرغم من تمكن " محمود " الإنجليزية طيلة الفترة التي مضت إلا أنه يحتاج للمساعدة .

جوزيف : كدا فهمت كل حاجة هتعملها ومناطق التوزيع كلها صح؟

محمود : اه، كل حاجة بقت واضحة بالنسبالي.

جوزيف : يلا عاوزين نشوف شغل عالي.

محمود : أوعدك بكدا يا " جوزيف " بيه.

غادر محمود و قام بشراء شريحة هاتف، وأول من قام بالأتصال به كان " علي " حتى يطمئن عليه فهو يفتقده للغاية ولكنه أنهى المكالمة بسرعة حتى لا يلاحظ أحد شيئاً تحسباً لوجود كاميرات مراقبة داخل شقته الخاصة.

الفصل الخامس

" لا شئ مؤسف أكثر من كونك تنغمس بفعل أقبح الأشياء
على أنها أنجاز سوف تفتخر به "

نهي شعبان

يتوسط مكتبها غرفة الإدارة، أمامها الحاسوب الخاص بها منهمكة في العمل، تعمل جاهدة في أن ترفع من قدر الفرع، أن يكون الأول على مستوى الفروع الأخرى، أنهت إرسال أخر إيميل فعادت برأسها للخلف، مغمضة عينيها تريح عقلها بضع دقائق، ولكن كالعادة تذكرت ذلك اليوم والجنين بداخلها، فرت دمعة على مقلتيها، ولكنها سرعان ما مسحتها، أمسكت هاتفها وطلبت الرقم المكتوب أمامها بالكارت.

نور : السلام عليكم..

السكرتيرة : وعليكم السلام..

نور : لو سمحتي كنت عايزة أخد معاد مع الدكتور النهاردة.

السكرتيرة : باسم مين يا فندم.

نور : نور عبده.

السكرتيرة : تمام يا فندم معاد حضرتك الساعة خمسة.

نور : متشكرة، سلام.

تنهدت بقدر الآلم الذي يغزو روحها، انغمست مرة أخرى على الحاسوب، طرق على الباب عدة طرقات ولكن بلا فائدة فتح الباب مُلقيًا عليها السلام، انتفضت من مكانها، مصدومة من مجيئه.

معتز ممسكًا بباقة ورد : يعني مكنتش أعرف أنه الشغل هياخدك أوي مننا كدا!!

نور بابتسامة : أزيك يا أستاذ " معتز"، أتفضل طبعا.

معتز بغضب متصنع : اقعدي مكانك يا " نور "، أنا هنا ضيف وأنتي المديرة.

نور بخجل : أكيد لا يعني... المكان مكان حضرتك.

معتز: تعباكي وقفتي؟! أديني قعدت أهو .

جلس على الكرسي أمامها، يتفرس عيونها الذابلة، ووجهها الحزين، يحتاج أن يتحدث معها على أنفراد خارج الشركة ولكنه لا يضمن ردة فعلها، فطلب فنجانين من القهوة .

معتز: مبدئيًا مفتقدينك في القاهرة جدًا، ثانيًا بقى بوكيه الورد ده هدية بسيطة كدا على كل الحاجات الحلوة اللي بتعملها في الفرع هنا.

نور بفرحة : حقيقي وأنا مفتقداكم كلكم بس ربنا عوضني هنا بناس جميلة وكويسين أوي، أما البوكيه فحضرتك تعبت نفسك مكنش ليه لزوم.

معتز بسعادة : الحمدلله إني عرفت أفرحك، " نور " أنا الحقيقة جاي عشان أكلمك في موضوع ضروري.

نور بخوف : أتفضل سمعاك..

معتز بشجاعة : أنا طالب إيدك للجواز..

نور بصدمة : إيييه...؟!!!

معتز باستغراب : ايه أنا طلبت حاجة غلط؟!!

نور بحزن : لا أبدًا، حقيقي أنت تستحق حد أحسن مني يا أستاذ " معتز "، بس أنا مش بفكر في الموضوع ده دلوقتي.
معتز باصرار : خلاص تمام، أنا مستنيكي لحد ما تفكري فيه.
لماذا يفعل هذا معها، يضغط على جرحها الغائر، يجعلها تكره ذاتها بكل مرة ينظر إليها فيها، حبه صادق وهذا ظاهر أمام الجميع ولكن بداخلها شخص لا يستحق حتى أن تفكر به، هي قررت أن تنتزعه من قلبها منذ أخر لقاء بينهما وبالفعل بدأت تنجح في ذلك، ولكن المشكلة هنا تكمُن فيما تعرضت له، وفي ذلك الأبتلاء الذي تحتويه بداخلها .
نور بعدما نظرت في ساعة هاتفها : معلش بس أنا مضطرة جدًا أستأذن عشان عندي معاد دكتور .
معتز بقلق : أنتي تعبانة ؟!!
نور : لالا متقلقش ده شوية تعب بسيط..
معتز: طيب أجي معاكي ؟!!
نور بابتسامة : متشكرة جداا!! ليك.
نور بتذكر: اه صح الملف اللي حضرتك كنت طالبه مني هجيبهولك حالًا.
معتز: خلاص تمام وكدا كدا هقابل السكرتيرة هراجع معاها كام حاجة.
نور : خلاص تمام، سلام وأشوفك على خير.
معتز متمتمًا : في يوم هتكوني ليا يا " نور " مش هسيبك أبدًا.
تركها وغادر، رتبت المكتب الخاص بها ووضعت الملفات بأماكنها ومن ثم غادرت لذلك المركز.

دقائق ووصلت فهو قريب من الشركة، لم تجلس الكثير حتى سمعت السكرتيرة تنادي عليها، استجمعت قواها ودخلت لغرفة الطبيب، قصت عليه كل ما حدث فطلب منها أن يفحصها .

الطبيب : طيب إنتي دلوقتي مدركة أنه خطر على حياتك من عملية زى دي؟

نور : اه عارفة كل ده، وأرجوك عايزة أعمل العملية في أسرع وقت.

الطبيب : طيب بعد بكرة تجيلي نعمل شوية فحوصات ونحدد.

نور بآلم : تمام يا دكتور متشكرة.

غادرت المركز وبداخلها صراع، تعلم بأن ما تفعله غير صحيح ولكن ماذا تفعل ليس أمامها حل غير ذلك، دعت ربها كثيرًا أن يلهمها الصواب، أن ينتشل كل تلك الآلآم من داخل روحها، أن ترجع لحياتها الطبيعية، استفاقت على صوت مزمار سيارة فغيرت أتجاهها مسرعة للرصيف بعد أن كادت حياتها تنتهي بلحظة !

***

منذ مكالمة والده وهو بحالة يرثي لها، يزداد الأمر صعوبة بداخله، " نور " من جهة ووالده من جهة، وتخطيطه للإنتقام من " سيد " من جهة أخري . بدأ رحلة البحث عنها، بعدما علمَ أنها بالأسكندرية، أخذ ثلاثة أيام أجازة من العمل، وقام بتحضير حقيبته ليتحرك من القاهرة صباحًا .

أخذ يتصفح هاتفه حتى غفا دون أن يشعر، دخل " سيد " غرفته فوجده نائم، فوضع خاتم " نور " الذي كان محتفظ به منذ ذلك اليوم على الكومودينو بجانبه ليثبت له أنه كان على علاقة معها .

استيقظ بعد خمس ساعات قام ليؤدي فريضته ومن ثم يستعد للرحيل، أمسك الشاحن ليضع هاتفه عليه فشعرت يده بشئ غريب بجانبه، أضاء المصباح الذي يحتل ركن صغير على الكومودينو فوجده خاتم ولكنه لفتاة، للحظة لم يستوعب أنه ملك ل " نور " ولكنه سرعان ما تذكر يدها وشكل هذا الخاتم، أخذ نفسًا عميقًا، فهو يعرف أن " سيد " الفاعل ولكنه الآن يتوجب عليه التصرف بحكمة حتى لا يندم وتفشل كل خططه.

***

ذهبت للمطبخ لتقوم بتحضير أي شئ يسد جوعها، فهي لم تأكل منذ البارحة، فقررت أن تجهز طبق معكرونة يكفيها، أخذت تدندن مع أغنية لأم كلثوم كانت تشغلها على هاتفها، قاطع تركيزها انقطاع الأغنية بنغمة رنين الهاتف فوجدته والدها..

نور بشوق : بابا وحشتني أوى.

عبده : وأنتي يا بنتي وحشتيني، طمنيني عليكي؟

نور : أنا كويسة الحمدلله، أنتوا كلكم عاملين أيه ؟

عبده : الحمدلله بخير، خدي " هدهد " عايزة تكلمك.

هدى بحنين بالغ لأبنتها : وحشتيني أوى يا " نورى "

نور ببكاء مكتوم: يا " هدهد الجناين " أنتي أكتر.

هدى : طمنيني عليكي بتاكلي كويس يا بت؟

نور بابتسامة : أديني بعمل مكرونة أهو ..
هدى : أيوه أتغذي كويس كدا، مش رايحة الشغل النهاردة ولا ايه ؟
نور : لا خدت أجازة النهاردة، قوليلي الواد " زياد " عامل ايه؟
هدي : بيسلم عليكي يا حبيبتي.
نور : الله يسلمه سلميلي عليه.
هدي : ماشي يا حبيبتي عايزة حاجة ،خدى بالك من نفسك.
نور : لا سلامتك يا " هدهد "، لا اله الا الله.
هدي : محمد رسول الله يا قلبي.

أنهت المكالمة وانفجرت بالبكاء، هو السبب بكل ما تمر به، غربتها عن أهلها، مستقبلها المجهول، الجنين، حياتها الغير مستقرة، تكرهه بحجم العالم، تود لو تقبض روحه بكفيها الصغيرتان لتخمد النيران التي بداخلها .
طق طق طق
أربكتها صوت الطرقات فمن سوف يزورها الآن وهي لا تعرف أحد بتلك البناية، نظرت من العين السحرية ولكنها لا تستطيع الرؤية، وما أخافها حقا صوت المفتاح وهو يوضع بقفل الباب.
نور بخوف شديد : مين برا..
أنفتح الباب فجأة فوجدتها " هالة " تصرخ بوجهها وتحتضنها بشدة.
هالة بشوق : وحشتينيييييي.....

نور بعصبية : أنتي يا زفتة وقعتيلي قلبي باللي عملتيه ده.
هالة بمرح : عارفة عارفة..
أحتضنتها بقدر شوقها طيلة فترة فترة الغياب، أخبرتها بأنها سوف تقضي معها يومان ومن ثم تعود للقاهرة مرة أخري، قامت " هالة " بتبديل ملابسها وترتيب أشيائها وأستعدت لتساعد " نور " في إعداد الطعام لهما في جو لا يخلو من الضحك المتبادل بينهما .

***

تفصله دقائق عن رؤيتها، يجتاح قلبه حنين جارف، يفكر كيف ستقوم باستقباله، هل ستسمعه ؟، أم تنهره وتطرده ؟!
في كل الأحوال هو سيفعل المستحيل كي يكون معها وبجانبها، سوف يعتذر لها عمّا بدرَ منه، ولكن هل الموضوع بتلك البساطة الذي يتخيلها ؟!
نظر للورقة المدون بها العنوان الذي أعطاه إياها " أحمد "، فهو عرف بطريقته من إحدى صديقاتها بفرع القاهرة العنوان الذي تسكن به .
استقل أقرب سيارة وأعطى للسائق العنوان وخلال خمس دقائق كان أمام البناية، صعد السلالم وأمام باب الشقة المقصود أخذ تنهيدة وقرر أن يطرق الباب.
طق طق طق...
نور باستغراب : مين؟
هالة : مش عارفة روحي أفتحي عشان إيدي مش فاضية.

أنطلقت لتفتح الباب بعدما وضعت الحجاب على رأسها ؛ لتظهرالصدمة جليًا على وجهها حينما رأت وجهه، لحظات من السكون تسود الموقف، تحتاج أن يصفعها أحد لتصدق أنه أمامها وليس مجرد تخيلات، قاطع شرودها صوت..

" هالة " وهي تسألها من الطارق ؟

قرر أن يبدأ الحديث، فلا فائدة من لحظات الصمت ولا بد من المواجهة وبسرعة..

علي بحزن : أنا عارف أنك ممكن متقبليش كلام مني بعد اللي عملته معاكي بس والله مكنتش أعرف الحقيقة.

نور ببرود : أنت ايه اللي جابك ؟ وعرفت مكاني منين؟

ولو أنت فاكر أنه شوية الصعبانيات دي هتخيل عليا تبقي عبيط وأتفضل أمشي...

علي بندم : أرجوكي أسمعيني للأخر..

لم تشعر بنفسها إلا وهي تصفعه، تذكرت معاملته القاسية وأتهماته الشنيعة، سبته بأبشع الألفاظ.

نور بانهيار: أنت ايه عايز مني ايه أنت واخوك، مستنيني أخدك بالحضن مثلا وأقولك مسمحاك بعد ما أتهمتني في شرفي يا محترم، ولا مستنيني أسمعك وأقول معلش ما أنت مكنتش فاهم حاجة، تنسي كل الكلام ده

وتتفضل تمشي دلوقتي حالًا مش عايزة أشوف خلقتك، وأنا مش مسمحاك لا أنت ولا أخوك ومنكم لله على حرقة قلبي دي.

هالة بعدم فهم : مين أنت وعايز منها ايه ؟؟

علي بآلم : خليها تسمعني وبعدين تحكم عليا...

نور ببكاء مرير : بقولك أمشي مش عايزة أشوف وشك إياك تفكر تيجي هنا تاني.

تفوهت بتلك الجملة ولم تشعر بشئ أخر، فقدت وعيها فصرخت " هالة " ممسكة بها قبل أن يلمس جسدها الأرض، حاولت إفاقتها بشتى الطرق ولكن بلا فائدة، أقترب هو منها ولكن

" هالة " نهرته وطلبت منه الأبتعاد، وضعتها برفق على الأريكة وجلبت العطر الخاص بها ووضعت القليل على يديها ومن ثم قربته على أنفها فبدأت " نور " بالأستجابة

هالة بخوف : أنتي كويسة يا " نور " .

نور ببكاء : خليه يمشي أرجوكي يا " هالة "

هالة بغضب : على ما أعتقد شايف حالتها أتفضل بقى برا.

لم يجادلها، أمسك حقيبته وخرج من الشقة ومن ثم البناية ليتمشي بشوارع عروس البحر المتوسط مهمومًا حزينًا، لا يعرف ماذا يفعل هو اليوم تأكد بأنه خسر " نور عالمه " للأبد ولا يوجد أمل للرجوع مرة أخري.

يستعيد عقله كل المواقف التي جمعته بها، لعبهم بالحي وهم أطفال، شعرها الناعم، ركوبها الدراجة من خلفه، الشوكولاته التي تحبها، وأخيرًا جواباتهم ورسائلهم لبعضهم البعض

حبهم البريء وانعقاد قلوبهم ببعض حتى الكبر، نجاحها الذي كان يفتخر به دومًا، وأخيرًا عملها بالشركة .

غلبته دموعه وأخذت تنهمر على مقلتيه بغزارة، هو يذوب بها ليس مجرد حب عابر، لو لم يحدث كل ما حدث ؛ لكانت دبلته تزين يدها، يا له من قدر مؤلم !

***

مرت نصف ساعة وهي على هذا الوضع لا تتحرك، صامتة، شاردة، وغير عابئة بما تتحدث به " هالة " ولكنها قررت بداخلها أنها ستقرّ لها بكل شئ، ولها مطلق الحرية في أن تبقى صديقتها أو لا تبقى .

نور بهدوء : عايزة تعرفي مين ده ؟

هالة بفضول : أكيد.

نور بتنهيدة : أنا دلوقتي هحكيلك كل حاجة حصلت معايا بس أول حاجة توعديني محدش يعرف.

هالة بقلق وفضول : أوعدك.

قصت لها معرفتها ب " علي " منذ الصغر ونشأتهما معًا، تستهزأ بمشاعرها تارة وتهزمها عيناها تارة أخرى، ووجه "هالة " لا يخلو من الصدمة لما تسمعه، لم تحتمل الاستماع لشئ أخر فقد توقفت لها " نور " عند معرفة حملها.

هالة ببكاء : يعني انتي حامل دلوقتي يا " نور "؟!!!

نور بحزن عميق : آه حامل وبكره رايحة أجهضه...

هالة بصدمة : اييييه؟!!!

نور : أمال أعمل أيه؟!!

ضاق العالم من حولها، كيف ل "نور" الرقيقة بأن تحمل كل ذلك بجوفها دون معرفة أحد؟

كيف تتحمل كل تلك الأتهامات؟

لها الله على كل آلم تشعر به، وتلك المصيبة التي تستكين داخل جوفها .

هالة بحزن : ليه مقولتليش من الأول يا " نور "، ليه خبيتي وشيلتي كل الهم ده لوحدك، أنا مش صحبتك؟!!!

نور بآلم : وقتها مكنتش قادرة أحكي ولو حكيت كان الآلم هيبقي مضاعف، ولما حسيت دلوقتي إني عايزة أحكيلك حكيتلك..

هالة ممسكة بيدها : أوعدك محدش يعرف واني هفضل جمبك لحد ما تبقي كويسة.

نور بابتسامة : بجد يا " هالة " يعني مش هتسيبيني؟

هالة بغضب : أسيبك ايه انتي هبلة؟!!!
نور بفرح : حبيبتي... ربنا يخليكي ليا يارب...
مراليوم وفعلت " هالة " كل ما بوسعها حتى تخرج " نور " من حالة الانهيار التي كانت بها فأخذت تحاول أن تسليها و تلقى عليها بعض النكات السخيفة حتى تخرجها مما هى فيه .

فى صباح اليوم التالى، قامت " نور" لتؤدي فريضتها ومن ثم تذهب إلى الشركة و تركت "هالة" نائمة فلم ترد أن تزعجها و توقظها من نومها فتركت لها رسالة تخبرها بأنها سوف تذهب بعد عملها إلى المركز للقيام بالأشعة و التحاليل المطلوبة .
عندما ذهبت للشركة كانت تشعر بشيء بالتحسن فأدركت أن ذلك من أثر حديثها مع صديقتها و تأكدت فى قرارة نفسها أن لها صديقةً وفيةً تستند عليها فى الشدائد و تبوح لها بأسرارها الخاصة .
راجعت الأوراق والملفات وأرسلت الإيميلات المطلوبة ومن ثم راسلت " معتز " لتخبره بأنها تحتاج إلى أجازة لمدة أسبوع فهي بحاجة لراحة لشديدة .
تركت الشركة متوجهة للمركز صعدت السلالم ولكنها تشعر بالخوف يتصاعد بداخلها، لم تنتبه بأن هناك سلمة أخري فتعثرت ولم تستطيع أن توازن نفسها فتدحرجت وأصبحت ترتطم بكل سلمة وتصرخ لعل أحد ينقذها ولكن لا يوجد أحد ؛ ليسمعها فأنتهي بها الأمر فاقدة للوعي وحولها بركة من الدماء .

رجع إلى القاهرة بعدما قضي ليلته جالسًا على الكورنيش شاردًا فيما حدث، ذهب للمنزل، ترك حقيبته وبدل ملابسه ليستعد للذهاب للفندق بالرغم من أن أجازته لم تنتهي بعد ولكنه فضل العودة للعمل بدلًا من الجلوس وحيدًا .

بعد نص ساعة كان بالفندق يحاول رسم ابتسامة مصطنعة على وجهه ؛ حتى لا يسأله أحد عمّا به، ولكن ما أثار الشك بداخله هو وجه صديقه " علاء " العابس، وتلك النظرة الغريبة التي لمحها بعيناه، ولكنه قرر أن لا يأخذ باعتباره شئ فهو يحمل بداخله ما يكفي ويفيض .

جلس على مكتبه وفتح الحاسوب الخاص به ليبدأ عمله ولكن قاطعه "أحمد"..

أحمد : أنت جيت أمتي يا أبني ؟

علي : دلوقتي حالًا ..

أحمد : وحشتني اليومين دول، طمني عليك وعملت إيه مع " نور "..؟

علي بآلم: خلاص ضاعت مني مبقاش ينفع الرجوع .

أحمد بحزن : ربنا معاك يا صاحبي.

علي : في حاجة حصلت وأنا مش موجود.

أحمد : آه فيه، بس أنا مرضيتش أكلمك عشان مقطعش عليك يومين أجازتك.

علي باستغراب : حاجة ايه اللي حصلت !
أحمد بتردد : أنت عارف أنه الفندق بيصفي؟!!
علي بمقاطعة : وأنا كنت منهم صح؟، قول عادي..
أحمد ناظرًا للناحية الأخري : للأسف...
علي بتنهيدة : هلم حاجتي وأخدها وأمشي دلوقتي، مجاتش على دي يا صاحبي..
لا يعرف بماذا يجيبه، رأي نظرة الانكسار بعيناه ولا يستطيع فعل شئ، عاجزًا عن مساعدة رفيق دربه ولكنه قام فجأه واحتضنته لعله يهون عليه ذلك الثقل، يحتضنه وهو صامت تمامًا لا يتفوه بأي شئ ولكنه أيقن أن " أحمد " خير عون له، سحب نفسه وودّع أصدقائه وترك الفندق وغادر بدون عودة .
استند على سيارة وأصبح ينظر للفندق شاردًا في حياته منذ الصغر وبالتحديد منذ وفاة والدته، المرأة الحنون التي كانت تخشى عليه من كل شئ، نظرتها له وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، حنينه لها، ولذكرياتهما معًا . خانته عيناه تلك المرة واغرورقت بالدموع، تذكر والده الذي يتركه للحياة تفعل به ما تشاء، يهاتفه مرة يخبره بأنه في إيطاليا وأنه ما زال على قيد الحياة وإلى الآن لا يعرف عنه شيئًا أخر .
تذكر " سيد " وكراهيته له منذ الصغر لأعتقاده بأن والداه يحبونه أكثر منه، مرورًا بالمواقف الشنيعة التي كان يفعلها معه بحجة أنه يسرق العابه،

وصولًا إلى " نور " وما فعله معها وهذا كان سبب كافي لتفكيره في الأنتقام منه .

في خلال يوم تبدلت ملامحه، أصبح كالعجوز في السبعين من عمره، تراكمت عليه هموم الحياة، يهرب من كل شئ بالنوم ولكنه في النهاية يستيقظ على نفس المعاناة ؛ إذ لا بد من وجود حل لكل تلك المشاكل .

انتبه لهاتفه، فالتقطه من على المكتب فوجده رقم غريب فأجاب بهدوء.

علي : ألو ..

محمود : أزيك يا "علي" أنا أبوك، حضر نفسك محتاجك في شغل ضرورى

علي : ايه هو الشغل ده ؟

محمود : هكلمك قريب هفهمك تعمل إيه بالظبط.

أغلق المكالمة دون أن ينتظر رد منه، تاركًا إياه في حيرة مما زادت التساؤلات بداخله .

الفصل السادس

" أعتقادك بكل مرة أن قرارك هو الصواب ليس حل للمشكلة
فأحيانًا تتدخل القدرة الإلهيه لتُنجيك من شر صوابك "

نهى شعبان

ملقاة على الأرض تحيطها بركة من دماء جنينها التي كانت تريد اجهاضه، متغيبه عن الوعي، ولا تشعر بوجود العالم من حولها، أستفاقت على همهمات الناس من حولها يحاولون إفاقتها حتى استجابت لهم بعد دقائق قليلة ومن ثم تم نقلها بسرعة إلى الأعلى حيث غرفة عمليات الطبيب ليفحصها .

استقر أنها بحاجة إلى عناية مشددة لمدة يومان فقرر حجزها بالمركز، ولم تكن تدري هي بكل تلك التطورات فكانت " هالة " هي المسؤلة عن حالتها بعدما هاتفوها بناء على طلبها.

مرّ اليومان وحالتها استقرت نسبيًا، فقد عانت بسبب جسدها الضئيل وما فقدته من دماء، وعندما أطمئن الطبيب على حالتها سمح لها بالخروج مع الأهتمام بالتغذية الجيدة .

***

استعد " زياد " لقضاء عطلة مع أصدقائه، ولكنه كالعادة اخذ أحتياطاته في المال، فهو يحتفظ بذلك السر إلى الآن، ولم يكتشف والده شئ نظرًا لأنه يأخذ مبلغ بسيط من فترة لأخري .

أتفق أصدقائه على مهاتفته لإبلاغه بالمكان الذي سيقضون به سهرتهم ليلًا .

وعندما حلّ الليل أنطلق ذاهبًا إلى المكان الذي وصفه أصدقائه له، ثم دخل عليهم وحدثهم ضاحكًا..

زياد : والله عال، أنتوا كمان عرفتوا " الخرابة " .

فقام بالنظر إليهم جميعًا فوجد من بينهم ابن منطقته وجاره " سيد "، فأرتبك قائلًا..

زياد : أزيك يا أبو السيد .

سيد باستغراب ساخر: إيه ده أنت تعرف الجماعة ؟؟

زياد بسخرية : اه طبعًا دول شلتي من زمان.

سيد مقهقهًا : دول شلتي أنا كمان.

مصطفي بضحك : ايه يا جدعان خلاص عرفنا أن أنتوا جيران وعارفين بعض، هنشوف الأستفة اللي معانا بتقول ايه ولا هنسمعكم انتوا.

بدأ مفعول الأستفة يظهر جليًا على وجهوهم، حيث أنهم بدئوا بالضحك بدون سبب، والقهقهة على أي شئ ، وفي تلك الليلة بالتحديد بدأت صداقة من نوع خاص بين " زياد " و " سيد " .

***

كان يجلس ناظرًا إلى الجريدة التي أمامه بكل أهتمام، ولكنّه قرر فجأه أن يراجع حساباته ويضيف ما تبقي معه من مال في الخزنة، وعلي غير العادة لاحظ بأن هناك خطأ في ترتيب الأموال داخل الخزنة ولكنه لم يهتم كثيرًا وقرر أن يراجع كل الأموال، وجد نقص فبدأ الشك يراوده، من يجرؤ على فعل ذلك، وكان أول شخص يأتي بعقله هو " زياد "، فوضع كل الأشياء مكانها ودوّن المبلغ المفقود بورقة، وقرر بداخله مراقبته دون علمه .
أمسك هاتفه ونظر إلى الرقم الأخير في المكالمات وضغط على زر الأتصال بابتسامة واسعة، حتى أجاب الطرف الأخر.
جوزيف : ألو، أخبارك ؟
عبده : ازيك يا باشا؟، أنا كويس الحمدلله...
جوزيف بتساؤل : في حاجة ولا ايه مش عوايدك؟
عبده بحماس : لا بس كنت عايز أقولك أنه البضاعة كلها أتوزعت ومحتاج بضاعة تاني في أسرع وقت.
جوزيف وهو ينفث دخان سجارته : يومين وهرد عليك.
عبده : هستناك يا باشا.

أغلق المكالمة وابتسم بخبث، فهو الآن أصبح من كبار الموزعين لديهم وفرصته في الحصول على المال أصبحت أكثر فبدأ يخطط بجدية لمشروعه الخاص .

بداخل الكوخ المنحرف قليلًا بإحدي زوايا " الخرابة " وبعدما قضوا ليلتهم بالضحك والقهقهة، وتذكر مغامراتهم مع فتيات الليل قرر " مصطفي " أن يقترح عليهم بأن يتجمعوا دائمًا " بالخرابة " حتى يكونوا على قدر كبير من الحرية بدلًا من تكتُف حركتهم داخل الغرزة .

وسرعان ما وافق الجميع على هذا القرار المحبب بالنسة لهم .

تركهم وغادر عائدًا للمنزل، لا يشعر بعقله، تائه ،وبداخله أفكار تكاد تنقل روحه إلى السماء . لماذا وضع قدمه بهذا الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك ؟ هل كانت تستحق نفسه منه ذلك ؟، أم أنه القدر يريد أن يُلقن أباه درسًا قاسيًا ؟!

فتحت له " هدى " الباب، فوجدته في حالة يرثى لها، سئمت من عودته كل يوم بهذا الشكل فانفجرت به قائلة..

هدى بغضب : أنت ايه مبتحرمش من الزفت اللي بتشربه ده؟

زياد مغمضًا عيناه : ...

هدى : رد عليا بقولك هتفضل كدا لأمتى ؟ طيب مهمكش صحتك أنا يا ابني عيزاك وأبوك وأختك عايزينك ليه تعمل فيا كدا ؟؟

عبده متدخلًا : في ايه...؟

هدى بتردد : مفيش ده هو مصدع شوية بس وهيدخل ينام.

عبده بغضب وممسكًا به لياقة قميصه : مصدع ايه؟!!، أنت بتشرب يلا ؟!! أنطق أنت بتشرب؟؟

زياد منفجرًا : أيوه بشرب أيه مستغرب ليه يا بابا، مستغرب عشان أهتمامك الزايد بينا، ولا عشان بتسمعني على طول، ولا عشان بتقعد معانا وقت كبير، ولا عشان أحنا أهم حاجة في حياتك ؟!

هدى بصدمة : ايه اللي بتقوله ده يا " زياد " مهما كان ده أبوك ومتكلمهوش بالطريقة دي..

زياد ساخرًا : إيه يا أمي حتى أنتي هتبقي في صفه، ده على كدا كتر خيرنا أنا و" نور " أننا مستحملين كتير وساكتين يمكن هي أكبر حاجة صح عملتها في حياتها أنها بعدت عنكم.

عبده بنفاذ صبر: ولاا أتعدل بدل ما أعدلك، وحسابك معايا عسير بس تفوقلي من حالتك دي.

لم ينطق حرفًا، تحرك تجاه غرفته وهو يتسند على الحائط، جلس على فراشه وغطي في نوم عميق يريد أن يمحي للتو كل ما حدث .

أما " عبده " جلس بالصالة يفكر في تلك المصيبة، هو الآن تأكد بأن " زياد " هو من يسرق الخزنة ليشتري تلك المخدرات، ولكن مهلًا فهو يشتري المخدرات التي يوزعها هو بالمنطقة !

يا لها من صدمة حقيقية أطاحت بعقله بعيدًا وتحديدًا في تلك اللحظة التي اختار فيها أن يصبح موزعًا للمنطقة " أ "

قاطع تفكيره صوت نحيب " هدى "، وهي تدعي بأن يهدي أولادها ويبعد عنهم أي مكروه .

أعطته ظهرها ممثلة أنها ستنام ولكن كيف تنام وعقلها مشغول ب " نور " التي لم تجيب عليها إلى الآن، و" زياد " التي لا تعرف ماذا تفعل معه لترده من هذا الطريق .

***

علي أحد الشواطئ الإيطالية كان يجلس على البحر شاردًا في أمواجه، ينتظر مهاتفة " جوزيف " له، تذكر عشيقته " سميرة " التي وافتها المنية منذ سنوات، لتترك له مسؤلية " سيد " و "على" التي يحملها على عاتقه إلى الآن بالرغم من البعد، فهو يفكر بهما كثيرًا، وفي اعتقاده أنه يفعل كل هذا ليؤمن مستقبلهم وهذه هي الحجة الذي يبرر بها عمله الدنئ .

تذكر ضحكتها وابتسامتها الهادئة وكأنها أمامه فأخذ يحدثها بحنين جارف وحشتيني أوي يا " سميرة " مش لو كنتي قاعدة دلوقتي كان زماني كويس، أنتي متعرفيش

" سيد " بهدلني أزاي؟، متعرفيش أنا تعبان ازاي في غيابك؟، كل حاجة من بعدك باهتة وملهاش طعم، عارف إنك مش راضية عني بس صدقيني كل اللي بيحصل ده غصب عني، سامحيني يا " سميرة " على اللي عملته ولسه هعمله .

فرت دمعة من عيناه حزنًا عليها فهو يعشقها منذ الصغر تمنى لو وهبه الله فتاة تشبهها لتهون عليه كل ما يمر به . أستدار ليفعل محرك سيارته ويجوب الشوارع لحين مكالمة "جوزيف".

***

بدأت تسعيد صحتها تدريجيًا، فكانت " هالة " تفعل لها كل شئ بعدما سمح لها " معتز " بمدّ فترة الأجازة

هالة : الحمدلله أنك بخير يا زفتة كنت هموت من القلق عليكي.

نور بامتنان : " هالة " أنا مش عارفة من غيرك كنت هعمل ايه والله..

هالة : بس يا هبلة بلاش الكلام ده، تعرفي يا " نور " إني مبسوطة جدا.

نور باستغراب : ليه ؟

هالة : عشان ربنا مأرادش أنك تجهضي وتعملي عملية والموضوع جه قدر كدا.

نور ببكاء : الحمدلله يارب الحمدلله.

هالة : مامتك رنت كتير يا " نور " لازم تكلميها.

نور ممسكة بهاتفها : هكلمها حالًا.

أخذت تنهيدة وحاولت بقدر المستطاع أن تجعل صوتها لا يبدو عليه التعب، جائها صوت والدتها بقلق.

هدى بقلق شديد : " نور " يا بنتي أنتي كويسة ؟

نور محاولة طمئنتها : ماما حبيبتي أنا كويسة متقلقيش.

هدى ببكاء : ليه يا بنتي تقلقيني عليكي ومترديش على الموبايل ليكي كذا يوم؟

نور : متخافيش يا ماما كنت تعبانة شوية والحمدلله دلوقتي زي الحصان.

هدي : أحكيلي بالتفصيل مالك ايه اللي حصلك؟

نور بكذب : ضغطي وطي فجأة وأغمي عليا وركبولي محاليل.
هدي بقلق : يلهوي يا بنتي طيب أنتي كويسة.
نور : اه والله بقيت كويسة حتى " هالة " قاعدة معايا ليها كام يوم.
هي تعتقد بأن جملتها الأخيرة طمئنت قلبها ولكن جعلت الشك يتملك منها أكثر، فوجود " هالة " معها يؤكد لها أن الموضوع ليس بتعب هين وبسيط.
نور : ألو ماماا روحتي فين؟؟
هدى بصرامة : أنتي مش ناوية تاخدي أجازة أسبوع وتيجي أنا عايزة أشوفك؟
نور باستغراب : معتقدش أنه ينفع الأيام دي عشان لسه أخده أجازة اليومين دول كنت برتاح فيهم.
هدى : أنا قلبي قلقان عليكي يا بنتي بالله عليكي أنتي كويسة؟؟
نور : والله يا حبيبتي كويسة، المهم أنتوا كلكم كويسين والواد " زياد " عامل أيه؟ طمنيني عليه.
هدى بحزن : أدعيله ربنا يهديه يا حبيبتي.
نور بقلق : ليه ماله يا ماما ؟!!!
هدي : ملهوش يا بنتي يلا هقفل عشان أبوكي جه، وشوية وهكلمك.
نور : ماشي يا ماما سلام عليكم .
أنهت المكالمة معها وقلبها يؤلمها، حدسها يؤكد لها أن هناك شئ مع " زياد " ولا توّد والدتها أخبارها حتى لا تقلقها .
هالة : مالك يا بنتي؟

نور بشرود : مفيش بس " زياد " تقريبًا معاه حاجة وماما مرضيتش تقولي..
هالة : طيب خلاص أهدي شوية وكلميه وشوفيه ماله..
نور بتنهيدة : خير يارب خير
هالة : المهم يا زفتة " معتز " كلمني وسألني عليكي والفرع عامل قلبان عشان سيادتك مبتروحيش.
نور بابتسامة : كلهم وحشوني والله.
هالة بتفكير: أقولك ايه يا " نور " ما تيجي نكلمه وتاخدي أجازة أسبوع وتنزلي القاهرة تطمني على أهلك وتغيري جو وبالمرة تقضي معانا يوم في الفرع هناك.
نور : مش هيرضى يديني أجازة يا بنتي ليا اسبوع باخد في أجازات مش هقدر أقوله.. لا..
هالة : ملكيش دعوة سيبه عليا وأنا هقنعه.
نور : ماشي يا واثقة من نفسك أنتي..

***

أعلن هاتفه بوصول مكالمة من " عبده " فقرر الرد بعدما دهس سيجارته بقدمه
سيد : الو أزيك يا عم " عبده " عامل ايه؟

عبده : الحمدلله.. أنت فين؟

سيد : في " الخرابة ".

عبده : معاك حد؟

سيد : أه جماعة أصحابي.. بس ليه في حاجة؟

عبده : لا مفيش كنت عايزك في حوار كدا، خلص وتعلالي.

سيد بعد تركيز: أجيلك فين؟

عبده : المحل.

سيد : تمام ماشي سلام

أغلق الكالمة وهو موقن أن " سيد " الوحيد الذي سوف يساعده على تكبير نشاطه في النواحي المتطرفة من المنطقة.

***

في المنزل كانت " هدى " تضع الطعام على الطاولة وتحاول أن ترتب الكلام لتتحدث مع " زياد " ليكُف عن المخدرات ولكن هيهات فهي سكة ليس لها رجوع إلا بإرادة من حديد .

زياد : بتكلمي " نور "

هدى : آه يا حبيبي لسه مكلماها من شوية لما أبوك جه.

زياد : ممم عايز أكلمها..

هدى : موبايلك ضاع فعلا؟

زياد : أتسرق ..

هدي بهدوء : فداك يا حبيبي نجبلك غيره.

زياد : هاتي موبايلك هنزل أجيب حاجة وأكلمها.

هدى وهي تعطيه الموبايل : أهو خده وخلي بالك من نفسك.

لم يعطها أي أجابة، هو من وجهة نظره أنهم السبب في حالته التي توصل إليها مؤخرًا، أخذ يتجول في الشوارع بدون أي هدف، حتى أنه أقترب من " الخرابة " فوجد أنه لا فائدة من دخولها فقرر الابتعاد بسرعة ومهاتفة " نور" فهو يفتقدها لأبعد حد .

نور : ألو أيوه يا ماما..

زياد بحنين : وحشتيني أوي يا " نور ".

نور بلهفة : " زياد " حبيبي أنت كويس؟

زياد : مش كويس عايز أشوفك.

نور بحزن : حاضر يا حبيبي بكرة هاجي هحجز أقرب قطر وأجي.

زياد بخوف : هتيجي لوحدك؟

نور : لا " هالة " معايا متقلقش هنيجي أنا وهي، وهقضي أسبوع معاكم.

زياد ببصيص أمل : طيب الحمدلله تجيلي بالسلامة يارب.

نور : زيزو متقولش لماما ولا لبابا هعملهالهم مفاجأة.

زياد : ماشي يا حبيبتي يلّا خلي بالك من نفسك.

نور : حاضر وأنت كمان.

أرتاح قليلًا بمجرد سماع صوتها فهو يعتبرها توأم روحه، وصديقته المقربة حتى وإن لم يكن بينهم تواصل إلا أنه يحبها من أعماقه .

***

هندم ملابسه وأخذ أشيائه وتحرك ناحية المحل الخاص ب
" عبده "، يراوده الفضول من دقيقة لأخرى ماذا يريد منه؟! دقائق قليلة وكان يجلس معه
عبده بترحاب : تشرب ايه يا أبو السيد؟
سيد : تسلم يارب، عايزني في ايه؟
عبده : امال متعرفش أخبار عن أبوك خالص؟
سيد : ممم، لا معرفش بس إيه اللي فكرك بيه؟

عبده بخبث : وأنا أقدر أنساه!!
سيد : ماشي، كنت عايزني في ايه؟
عبده : اللي هقوله دلوقتي ميطلعش برانا أحنا الأتنين.
سيد : آمين.
عبده : أنا شغال من زمان مع جماعة كبيرة قوي تبع المخدرات وماسك المنطقة " أ " ودلوقتي محتاج مساعد ليا.
سيد : جماعة كبيرة ازاي لمؤخذه وإيه منطقة " أ "؟

عبده : تقدر تقول مافيا على مستوي دول أوروبا، أما المنطقة فأحنا هنا متوزعين منطقتين في القاهرة " أ " و" ب ".

سيد بسخرية : وأنت إيه وصلك بيهم ؟

عبده : لا دي حاجة بتاعتي.

سيد : المطلوب مني دلوقتي ؟

عبده : عايز مساعد ليا ونوزع أنا وأنت في الخباثة من غير ما حد يعرف نمسك النواحي اللي حوالينا يعني شغلنا هيكون بعيد.

سيد بتفكير: اه نقوم نتقتل أنا وأنت عشان تفكيرك القذر ده يعني دلوقتي تلاقيك مدكنهم ومش مكفيك، هتفضل طول عمرك طماع وعايز كل حاجة ليك أنت لوحدك.

عبده بلامبالاة: ها هتوافق ولا لا؟

سيد : سيبني يومين وأرد عليك .

الفصل السابع

" قاوم من أجل أن تكون حقيقي بين زيف
هذا العالم الدنيء"

نهى شعبان

التقى بـ " جوزيف " وتحرك كلاهما بالسيارة ناحية المطار، جلسوا بصالة الانتظار؛ هناك ساعة متبقية على إقلاع الطائرة .

جوزيف : خلاص كدا الأمور تمام وواضحة؟

محمود : تمام يا بيه .

جوزيف بخبث : هو أنت تعرف واحد أسمه " عبده " عندكم في المنطقة؟

محمود : ده صاحب عمري.

جوزيف بابتسامة صفراء : طيب كويس عشان هتكونوا مع بعض في نفس المجال.

محمود باستغراب : ازاي ؟

جوزيف : أصله هو اللي ماسك المنطقة " أ " ليه سنتين.

محمود بصدمة : " عبده " صاحبي اللي هو فاتح محلات جزم؟؟

جوزيف بضحك : أيوه متستغربش، طيب أقولك كمان على الكبيرة " سيد " ابنك هو اللي مسهله كل حاجة في التوزيع.

محمود باستهزاء : لا دي أصدقك فيها عادي.

أخذ يتحدث مع " جوزيف " في كل شئ، حتى أعلنت المكبرات بوصول الطائرة فاعتدلوا ف جلستهم وقاموا ليتمّوا أجراءات المطارات الروتينية .

في الصباح أعلنت محطة رمسيس عن وصول قطار قادم من عروس البحر المتوسط، ترجلت كل من " نور " و " هالة " واتجهت كل منهما صوب منزلها، اجتاحت " نور " مشاعر الحنين والشوق إلى عائلتها خاصة والدتها فهي لم تعتاد الغياب عنهم هكذا ولكن كان هذا أفضل حل لها، نظرًا لما مرت به من أحداث ثقال انهكتها .

استيقظت " هدي " على طرقات الباب ولكنها شعرت بأن تلك الطرقات تربكها، حيث أن قلبها حدثها بأن " نور " قريبة منها، فأسرعت لفتح الباب وبالفعل وجدتها فلذة كبدها .
نور مُلقية نفسها بين أحضانها : وحتشتيني يا " هدهد "
هدى ببكاء : يا روح " هدهد " أنتي وحشتيني أكتر يا بنتي.
نور : بصي أنا واقعة جوع أعمليلي أكل يا ماما وحشني أكلك أوي.
هدى بضحك : طيب يلّا أدخلي صحي أخوكي وأبوكي.
نور : حاضر.
تحركت تجاه غرفة " زياد " مُيقظة إياه بطريقتها الطفولية فقام محتضنًا إياها بشوقٍ
زياد : وحشتيني يا قلب أخوكي.
نور : يلا جيتلك مخصوص يا عم أهو ياكش يتمر.
زياد بضحك : طيب يا ستي عايزين نقعد كتير مع بعض بقى ونحكي.

نور : موافقة بس يلا ناكل الأول.

زياد بقهقهة : لسه زي ما أنتي كل همك بطنك.

نور : طيب يلّا قوم روح لماما وأنا هصحي بابا وأجيلكم.

بعد دقائق كانت الأسرة ملتفة حول مائدة الطعام فرحين بمجيء " نور " فلأول مرة منذ فترة يجتمعوا جميعًا لتناول الطعام .

عبده : أخبار الشغل معاكي ايه؟

نور : الحمدلله يا بابا ماشي كويس وأنا مبسوطة هناك جدًا.

عبده: طيب يا بنتي ربنا يسعدك يارب.

زياد : أنا النهاردة هاخد " نور " وهنخرج شوية.

عبده : هتروحوا فين؟

زياد ببرود : عادي هنتمشى.

لم يرد عليه " عبده " لانه نظر لهاتفه فوجد " سيد " يهاتفه فأدرك بأنه قد وافق على طلبه وبدأ في تخيل حياته فيما بعد مع ابتسامة خبيثة تعتلي ثغرّه ولكن قاطعه مرة أخرى رنين الهاتف فاضطر للقيام حتى يجيب .

عبده : الو أزيك يا أبو السيد.

سيد : تمام عايز أقابلك.

عبده : خلاص بليل تعالي المحل.

سيد : تمام، سلامز

***

في مرسى مطروح كان يجلس بشرفة منزله الجديدة، شاردًا في حديثه السابق مع " جوزيف "، فكيف آل الحال ل" سيد " بالعمل مع " عبده " وتحالفه معه، وهل كان ل " عبده " دورًا في جعل " سيد " يتجرأ عليه ويكرهه ؟!

فمهما بلغت مكانة " عبده " عنده هو يعلم ما ينتويه له، ويعلم مدي كرهه له نظرًا لما حدث في الماضي .

قاطع شروده ليحدث أبنه " على " فهو قرر أن اليوم سيكون موعد لقائهم.

محمود: أزيك يا " على " يا أبني وحشتني.

علي بغضب : هو أنت عايز ايه؟ كل شوية تكلمني ترميلي كلمتين وتمشي..

محمود : معلش يا أبني أنا وقتي مش ملكي وأنا بكلمك بسرعة عشان متحصلش مشاكل ليّا، عايز أقابلك النهاردة قوم هبعتلك عنواني تجيب شنطة هدومك وتيجي ومتقولش لحد خالص ولما أشوفك هفهمك كل حاجة.

علي باستفهام : أنا مش فاهم حاجة!!

محمود : أنا قولتلك لما تيجي هفهمك.

أغلق " محمود " المكالمة تاركًا " علي " في حيرته ولكنه كان متأكدًا أنه سينفذ كلامه فهو يعرف كيف يتصرف أبنه جيدًا .

قبل دقائق .....

علي : ألو ،، ألو

لم يمهله أبيه أن يرد عليه فأغلق المكالمة فألقى " على " الهاتف وضرب به عرض الحائط، فكر في عدم تنفيذ كلام والده ولكنّه وجد أنه لا يملك وظيفة، خسر " نور "، " سيد " يتعمد أذيته من فترة لأخرى، مستقبل باهت، لا يوجد شئ باقي عليه في القاهرة فقرر في لحظتها المجازفة والسفر لأبيه .

بعد سبع ساعات سفر، وطريق شاق وصل أخيرًا إلى أبيه وكان الأخر في انتظاره وعندما رآه أحتضنه بشدة معبرًا له عن مدى شوقه .

محمود بفخر: أهلا بيك في منطقة " ب " .

علي باستغراب : يعني أيه منطقة " ب " ؟!!

***

علي كورنيش القاهرة يجلس " زياد " مع " نور " ممسكًا بيدها وكأنها طفلته التي يخاف عليها من الضياع، كل ما يفعله جعلها تتأكد من أن هنالك خطباً ما يخبئه عنها فقررت أن تسأله

نور : مالك يا " زياد " في حاجة عايز تقولهالي ؟

زياد متنهداً : هحكيلك كل حاجة..

نور باهتمام : أنا سامعاك..

زياد : الموضوع بدأ بقعدتي مع صحابى و أصروا إنى أجرب اللى بيشربوه و مرة فى مرة الموضوع عجبني و بقيت بشرب معاهم على طول و حالتي بدأت تسوء و بقيت بروّح وش الفجر لحد ما أخر مرة أمك زعقتلي على حالي و أبوكي عرف وقتها و فضل يزعق وأنا شديت معاه و مش بكلمه من وقتها، و لا بروحله المحل.

نور بصدمة : مين صحابك؟

زياد : " مصطفى " وصحاب المنطقة و كمان أكتشفت أن " سيد " صاحبهم من زمان وبيجبلهم الحاجة.

نور محاولة اخفاء اشمئزازها من " سيد " : هو كمان ليه فى المخدرات؟

زياد بأسف : " سيد " هتلاقيه ليه فى كل حاجة دا بقي أشهر من نار على علم.

نور بتفهم وحنان : طيب يا حبيبي أنت مش شايف إنك بتأذي نفسك كدة و مش باصص على أهلك و اللي بيحبوك، سيبك منهم أنت مش عارف أن أنا بعتبرك كل حاجة فى حياتى دا أنا بشوفك أبني.

زياد : غصب عنى يا " نور " غصب عنى أنا بحاول أبعد و هما بيشدونى و أنا عاوز أبعد، عشان خاطرى خليكى جمبي.

نور و هى تقبض على معصمه : أنا جمبك يا حبيبي و هخليك تتراجع عن السكة دى و هتكون كويس فى أقرب وقت.

أردفت " نور " محاولة أن تهون على أخيها : ماتيجي يا زياد نتمشى و نجيب شوية حاجات وهدخل أى محل فون أشحن رصيد.

أجابها " زياد " بالموافقة فهو يفقتد وجودها و يحتاج أن ينتشل نفسه من الجو العام الذي يعيشه فى منزله، طلبت منه " نور " أن يسبقها لشراء الذرة، فذهبت لأحد محلات الهواتف وطلبت منه أحد الهواتف المعروضة لتفاجىء به " زياد " بعد أن سرق هاتفه.
وبعد دقائق عاد " زياد " بعد شراء الذرة فتفاجأ بـ " نور " تعطيه هاتفا جديدًا..
زياد بصدمة: ايه ده ؟!
نور ببهجة : دي أقل حاجة ممكن أقدمهالك أعتذارًا على تقصيري معاك طول الفترة اللي فاتت، خليك عارف إني مهما بعدت أنت ابني الصغير اللي بخاف عليه ومينفعش تكون غير كويس وبس، عشان خاطري أنا أبعد عن الطريق ده.
زياد بفرحة : أنا بحبك أوي يا " نور" ربنا يخليكي ليا.
نور بسعادة لسعادته : يلا بقى نتمشى براحتنا.
لم يعطوا أعتبارًا لأي شخص فقضوا يومهم بكل حب، فمن يراهم يعتقد إنهم عاشقان، حتى أرهقهم المشي فقرروا أن يعودوا للمنزل .

***

فى المحل الخاص بـ " عبده " يجلس " سيد " متكئًا على الأريكة بلامبالاة و كأنه هو مالك المحل حتى خرج له " عبده " من غرفته بالمحل.

عبده بعدم اكتراث : تشرب ايه؟
سيد : شاي..
أحضر له " عبده " الشاي و جلسا يتحدثان..
عبده : فكرت فى الموضوع اللى قولتلك عليه؟
سيد : أنا موافق بس على شرط أسمي ميتجابش فى حاجة و لو اتجاب هجرك معايا.
عبده : لا متقلقش محدش هيعرف حاجة و لا هيتجاب اسمك فى حاجة.
سيد بانتصار: هنبدأ الشغل من أمتى يا " أبو زياد "؟
عبده و قد فهم ما يرمى له سيد : انتظر منى تليفون.
انطلق " سيد " مغادراً المحل و قضى " عبده " وقته فى المحل منشغلاً بكلمة " سيد " التي ألقاها وأقسم داخله بأن يجعله يتذوق مرارة هذه الكلمة .

***

وصلوا إلى المنزل منهكين من كثرة المشي، فقررت " هدى " تحضير العشاء لحين مجيء أبيهم
هدى : أمال تليفون مين اللي في إيدك ده بتاع " نور "؟
زياد : لا ده واحد جديد " نور " لسه جيبهولي.

هدى ناظرة لها بامتنان : شكرا يا حبيبتي.
نور بابتسامة : مش محتاجة شكر يا ماما ده أخويا وأنتي معودانا على كدا من زمان.
هدى بتذكر : أه صح يا نور " ميدو " بيجي يسأل عليكي على طول..
نور ضاربة بكفها على جبهتها : أنا نسيت يا ماما ومكنتش بطمن عليه حتى في أمتحاناته
هدى : أنا مقولتلهوش أنك جيتي.
نور : حلو أوي، معلش يا " زيزو " نادي عليه وأنا هعملهاله مفاجأة.

قام " زياد " ونادي عليه من الشرفة الخاصة بهم فهو يقنط بالشقة التي أمامهم مباشرة .
دقائق وكان " ميدو " بداخل منزل " نور " .
ميدو : أيه يا " هدهد " أنتي عيزاني في حاجة ولا ايه؟
زياد بضحك : هنعوزك في ايه أنت كمان يا فالح..؟
ميدو متعمدًا اغاظته : قال يعني قدامي جون سينا..
نور متدخلة فجأة : بخ
ميدو بفرحة : نووووور
نور بسعادة : كنت مفتقداك ومفتقدة شوفتك يا " ميدو " والله وأسفة إني مرنتش عليك بس غصب عني والله، طمني عملت ايه في الأمتحانات؟

ميدو مقدرًا ما تمر به : متقلقيش مش زعلان منك أنا بس عايز أقعد وأحكي معاكي زي زمان.

نور : المهم طمني باقيلك كام مادة؟

ميدو : باقيلي مادتين، والحمدلله الأمتحانات اللي فاتت حليت حلو جدا فيهم.

نور : طيب الحمدلله يا دكتور " ميدو " .

ميدو بتمني : يسمع منك ربنا.

زياد : يلا تعالي أطفح معانا .

ميدو بضحك : هو أنا مرات أبوك يا أبني بتعاملني ليه كدا؟

نور بضحك : اللي بيحبك يلاغيك يا عبيط .

ميدو : اه فعلا يقولي أطفح قصدك.

أتجهوا جميعًا لغرفة الطعام لتناول العشاء، ومن ثم قضى " ميدو " وقت كبير مع " نور " تحدثت معه بكل شئ حدث معها منذ معرفتها بحملها أنتهاءً بزيارة " على " لها وأخيرًا اجهاضها .

***

مرّ يومان ولم يقص " محمود " كل ما حدث معه ل " على " مما أغضب " على " كثيرًا ولذلك قرر أن يواجهه .

علي بغضب : هو أنا هفضل قاعد هنا كتير من غير ما أعرف أي حاجة كدا؟

محمود بهدوء : عايز تعرف ايه بالظبط ؟

علي : عايز أعرف مين الناس اللي بتكلمك كل شوية دي ومن لما سيبتنا روحت فين أصلا، وأيه موضوع إيطاليا دا ؟

محمود بتنهيدة : هحكيلك دلوقتي

أول ما أنت روحت أستنيت الدنيا تروق وميبقاش في حركة كتير في المستشفي وقررت أهرب، قولت مبدهاش بعد اللي بيعمله " سيد " ده لازم أهرب وأسيب مصر كلها، المهم أول ما نزلت من المستشفي لقيت عربية نقل كبيرة روحت اتشعبطت فيها ومن حسن حظي لقيت العربية رايحة مطروح، وصلت وروحت على طول للشيخ " طه " مكانش قدامي غيره، هو الوحيد اللي هيقدر يساعدني ويهربني برا مصر، وبالفعل قعدت عنده والراجل عمل معايا الواجب وزيادة وقولتله وقالي يومين وهرد عليك ورد عليا وقالي في مركب طالعة لإيطاليا وهو ظبطلي الدنيا، وروحت بقا وخلاص الدنيا تمام وركبت المركب وأول ما ما ركبت يا ولدى وكانت خلاص هتتحرك روحت فجأة رجعت في قراري وقولت لا مش هسيب البلد أنا هشتغل أي حاجة هنا وخلاص وروحت بقا مشيت كتير في صحراء كدا لغاية ما وصلت لمنطقة " سيدي براني " ونمت على الرملة ومحستش

بنفسي غير تاني يوم فضلت أحاول أطلع من المنطقة دي وفعلا طلعت لبرا ولقيت أعلان شغل ودخلت لقيت مكتب كدا وواحد كبير قاعد ولقيت الراجل بينعس وغصب عني مديت إيدي على الفلوس اللي كانت قدامه وخدت وقولت ربنا يسامحني عشان مش معايا فلوس، وفجأة لقيت الراجل ده علىّ صوته وقالي يا حرامي وبعدها فضل يضحك ضحك غريب وأنا مستغرب روحت قولتله إني مكانش قصدي أسرق وأني مش معايا فلوس لأنه محفظتي وقعت وإني عايز شغل لقيته بيكمل ضحك وراح قالي أنه حوار يافطة الشغل دي خدعة وأنو هو حاطط الفلوس دي على المكتب عشان أي حد يدخل ويسرق يروح يمسكه ويشغله معاه غصب عنه يا أما هياخد ملف الكاميرات ويروح يعمل محضر بيها.

علي بحيرة شديدة : يشغله إيه !

محمود متنهدًا : لما أتكلم معايا قالي خلاص أنا هسامحك وهعرض عليك فرصة شغل كويسة في شركة محترمة وأنا زي العبيط صدقته وأديته العنوان اللي قاعد فيه عشان بعد يومين حد هيجي ويبلغني بكل حاجة تخص الشغل ده .

واليومين عدوا وجه واحد كدا وقالي أنت " محمود " وفي نص الطريق أحنا وماشيين ربط عيني عشان ماعرفش الطريق وأنا معارضتش وقولت خلاص شكلها نهايتي لحد ما دخلني لواحد كدا أسمه " جوزيف " وفضل يقولّي أنه مراقبني طول اليومين اللي فاتوا وكلام من ده، وراح قالي أنهم مافيا مش

زي ما أنا فاكر، وقالولي خلاص أنه بقيت منضم ليهم ومفيش خروج من الشغلانة دي غير بموتي.

علي بصدمة : وبعدين؟

محمود : وأشتغلت معاهم ونفذتلهم كذا حاجة ودلوقتي أنا ماسك المنطقة دي كلها.

علي بتساؤل : ماسكها أزاي ؟

محمود : مخدرات ...

علي بضحك هستيري : أنت مُدرك اللي بتقوله يا بابا...؟!

محمود : أيوه يا ولدي خلاص مبقاش في شغل يجيب فلوس ويعيشك ملك غير الحاجات دي.

علي باستهزاء : على كدا أي حد مش لاقي شغل يدخل في الحرام ويدوس عشان مفيش فلوس كفاية، فرقت أيه أنت عن " سيد " ؟

محمود متجاهلًا حديثه: بص يا "علي" أنا هشغلك معايا وهخليك دراعي اليمين وهعرفك على "جوزيف" وهتحب الشغل وأنت دماغك نضيفة وهتعمل فلوس حلوة.

علي بضحك : أنا مش متخيل أنت أزاي بتتكلم بالبساطة دي..!!!

محمود : روح نام دلوقتي ولما تصحي فكر ورد عليا..

علي : أنا هاخد بعضي وأمشي بلا أفكر بلا أرد....

محمود مشددًا على يديه : فكر مش هتخسر حاجة، هتجيب حقك من " سيد " وهيبقى معاك فلوس تبني بيها الشركة اللي بتحلم بيها، هتعيش ملك كل حاجة تحت طوعك .

علي بعدما لمعت بعقله عدة أفكار: ماشي هرد عليك، بس قولي صح إيه الأرقام الغريبة اللي كنت بتكلمني منها دي .

محمود : أنا لسه راجع من إيطاليا كنت هناك في اجتماع مع الراس الكبيرة.

علي بابتسامة : ده الموضوع كبير أوي شكله.

الفصل الثامن

" يبدأ الأمر بفكرة ثمينة ومن ثمَّ تجد ذاتك أمام الفخّ فأحذر يا صديقي "

نهى شعبان

يجلس في الهواء الطلق يرتشف القهوة في هدوء ويفكر بعمق حتى قرر بأنه سوف يعطي فرصة لذاته ويخوض تلك التجربة فهو لم يعد يكترث لأي شئ ، ولا يوجد أمامه سوى خياران

الأول : أن يخوض التجربة ويجني المال الذي يحتاجه ويحلم به طيلة حياته ومن ثم ينتقم من " سيد " وبذلك يكون حقق ما يريد.

الثاني : أن يعود للقاهرة ويبحث عن فرصة عمل أخرى وبالتالي ستكون فرصة أنتقامه من "سيد " أضعف لذلك قرر أن يخوض التجربة بكل ما فيها من مخاطرة .

محمود : صباح الروقان.

علي بهدوء : أنا موافق على الشغل ده.

محمود بانتصار: كنت متأكد أنك مش هتخيب ظني.

علي : عادي حياة مملة مفيهاش جديد، شغلي وأتفصلت منه، أنت وبعيد عننا، البيت وحزن الدنيا مسيطر عليه، عيشة القاهرة بقيت صعبة خالص وأنا خلاص قرفت من المنطقة بتاعتنا كلها.

محمود : مجبتش سيرة " نور " يعني غريبة..!!

علي بنظرة يكسوها الحزن : " نور " ما هي راحت خلاص.

محمود : رافضة تكلمك لسه بردوا؟؟

علي بعد ما تخيل حياته بعد الآن : لا الموضوع ده كبير وسيبك منه هيجي الوقت اللي هتكون معايا فيه ويتقفل علينا باب شوية تخطيط في السليم وكل حاجة هتروق يا بابا .

محمود بتفهم : يبقي مش هتحكي بس هستناك هتيجي في الوقت المناسب وهسمعك في أي وقت أتفقنا ؟

علي : أتفقنا يا " محمود " بيه.

***

استيقظ من نومه وكالعادة لم يجد أثار لـ "علي" في المنزل فقرر مهاتفته ولكن الأخر لا يجيب فقرر أنه لن يهاتفه مرة أخرى . أحضر كوبًا من الشاي وأسند ظهره على الأريكة يفكر في الشغل الذي سوف يبدأ به مع "عبده " وما وراءه فهو يعلم جيدًا نواياه الخبيثة لذلك يحتاج أن يدرس أي خطوة قبل أن يخطوها .

أثناء شروده رن جرس هاتفه فظهر اسم " عبده " مما جعل "سيد" يتمتم مستهزءًا : ياريتني كنت بفكر في مليون جنيه.

سيد : ألو..

عبده : قابلني في الخرابة الساعة ١٠ بليل هنتفق على الشغل الجديد.

سيد : خلصانة هتلاقيني هناك.

قامت "هدى" بتحضير الفطار لـ "نور" ومن ثم ذهبت لتُيقظها..
هدى :يلا يا " نور " أصحي كفاية الضهر على أذان.
نور بنعس : يا ماما سيبيني شوية وهصحي..
هدى بحنان بالغ : لا يلا كفاية وأنا حضرتلك الفطار وهاكل معاكي.
نور : حاضر يا هدهد الجناين هاجي وراكي.
قامت وأدت فريضتها واتجهت نحو غرفة الطعام فوجدت والدتها شاردة وكعادتها تعمدت أن تفزعها
نور من خلفها : بخ...
هدى بفزع : بسم الله يا بنتي أنتي هتفضلي هبلة لأمتى كدا؟
نور بضحك : يرضيكي أعقل ده حتى عيب في حقي..
هدى : طيب يلا يا رخمة سمي الله..
تناولوا الطعام في جو لا يخلو من المرح فكم كانوا يفتقدوا كثيرًا لهذه الجلسة الممتعة.
انتهت من الطعام وذهبت لغرفتها فوجدت شاشة هاتفها مضيئة بأشعار من " هالة " على تطبيق الواتسآب تخبرها باشتياقها لها وتطلب منها أن تأتي للشركة لتقضي معهم اليوم فالجميع يسأل عنها وخصوصًا " معتز ".

ابتسمت للحظة فهي تعشق أهتمامه بها ولكّنها لن ولم تخبره بشئ، فأحيانًا تفقد الأشياء مذاقها إذا أقتربنا منها .
نور بفرح : هدهد يا هدهد...

هدى بابتسامة : نعم..
نور : أنا هصلي الضهر وأنزل هروح الشركة أقضي معاهم اليوم.
هدى : يعني أنتي جاية عشان تقضي كام يوم معانا تقومي تنزلي الفرع اللي هنا
نور باستعطاف : يلا بقى يا " هدهد " وافقي مش هتأخر شوية وهاجي.
هدى بتفكير: طيب يا ست " نور " روحي ألبسي يلا عشان متتأخريش.
بعد مرور نصف ساعة كانت " نور " تقف منتظرة حافلة لتنقلها إلى الشركة بينما كان "ميدو" يعبر الطريق عائدًا من أداء الأختبار ما قبل الأخير له حتى رأي " نور " فاتجهه ناحيتها بسرعة قبل أن تتجه ناحية الحافلة.
ميدو وهو يتنهد بصعوبة : يا " نور " قطعتيلي نفسي شغال أشاورلك من بدري.
نور ضاحكة على هيئته : يخربيتك أنت كنت فين؟
ميدو بغيظ : يعني مش عارفة .
نور متعمدة إغاظته : الصراحة لا..
ميدو بغضب : طيب
نور بابتسامة : طمني عملت ايه في الأمتحان؟
ميدو بغيظ : ملكيش دعوة.
نور بضحك : طيب يا سيدي شكرًا كفاية.
ميدو : أنتي رايحة فين دلوقتي؟
نور : رايحة الشركة أقضي يوم مع زمايلي.

ميدو: طيب تعالي أوصلك وارجع أروح.
نور : لا يلا روح تلاقيك مش نايم وبليل تعالى نقعد شوية مع " هدهد ".
ميدو: لا أنا هروح عشان نسيت الفون في البيت وماما تلاقيها قالبة الدنيا عليا.
نور : خلاص ماشي خلي بالك على نفسك.
ميدو بحب : أنتي اللي تخلي بالك على نفسك.
نور بابتسامة : حاضر.
توجهت نحو الحافلة وبعد دقائق كانت بالمقر وسط استقبال حافل من طاقم الشركة بأكمله
معتز: يعني شايفة معزتك عاملة ازاي عندنا؟ مش ناوية ترجعي بقى؟
نور بضحك : يعني يرضيك أزعل اللي هناك؟
هالة بغضب : لا ياختي زعلينا احنا ...
معتز: يارب تكوني مبسوطة معاهم هناك.
نور متعمدة إغاظته : آآه جداااا ....
هالة : أنا بقول أننا أدناكي حجم أكبر من حجمك يلا يا بنت من هنا وروحي على فرع أسكندرية.
نور بضحك : خلاص خلاص هظبط الدنيا وأقولكم.
معتز: تمام، المهم طمنيني عليكي أنتي كويسة؟
نور بابتسامة : الحمدلله بخير أخبار حضرتك ايه ؟

معتز: بخير طالما شوفتك .
هالة : أحم طيب أمشي أنا..
معتز بضحك : لا خليكي عايزك.
نور : طيب أنا هروح أقعد مع البنات شوية.
هالة : تمام هخلص وأجيلك.

هو في الحقيقة تعمد أن ينفرد ب " هالة " فهي الوحيدة المقربة منها وفي اعتقاده أنها سوف تأتي له بحل لمشكلته .

معتز : بصي يا " هالة " الكلام ده محدش يعرف بيه غيري أنا و" نور " أنا قولت لـ " نور " إني عايز أتقدملها وكدا بس هي رفضت وأنا مش فاهم سبب الرفض تقدري تفيديني يعني مثلا في حد في حياتها أو هي فعلا مش بتفكر في الموضوع ده دلوقتي.
هالة بتفكير: هي مش حابة أنها تخوض التجربة دلوقتي ومأجلة الموضوع دا ورافضة الكلام فيه.
معتز بتردد : طيب ينفع أطلب منك طلب؟
هالة بسرعة : أكيد طبعا ..
معتز: عايزك تتكلمي مع " نور " وتحاولي تقنعيها بأنها تديني فرصة.
هالة : حاضر عنيا .
معتز بامتنان : بجد يا " هالة " شكرًا أنك هتساعديني.

هالة : يا أستاذ " معتز" أنت و" نور " تاخدوا عنيا والله ربنا يعلم معزتكم.
معتز بابتسامة : تسلمي يارب يلا أتفضلي عشان معطلكيش أكتر من كدا.
هالة : حاضر

***

يجلس منتظرًا " جوزيف " بعدما أخبره أنه يوّد مقابلته لأمر هام، قام بتحضير ثلاثة فناجين من القهوة، فهو يعلم جيدًا أن الجلسة تحتاج إلى بعض التفكير والهدوء والقهوة .

محمود بترحيب حار: أهلا أهلا بالكبير.
جوزيف : أزيك يا " محمود " أخبارك ايه؟
محمود : الحمدلله تعالى أتفضل جوه.
علي بترحيب : أهلا بحضرتك.
جوزيف بخبث : أهلا يا "على".
محمود بضحك : مش هتفاجئ عشان كنت متأكد بأنه عندك علم.
جوزيف بثقة : شوف يا "علي" يا ابني أنا مفيش حاجة بتستخبى عليا من أول مكالمة أبوك ليك لحد دلوقتي وأنا عارف أنت هنا بتعمل ايه؟ وجاي ليه؟

علي باستنتاج : طيب ما طبيعي حد زيك في مكانتك دي لازم يبقي عارف كل حاجة عن اللي شغالين معاه.

جوزيف معجبًا بتفكيره : هايل أوي شكلك مش هتتعبني.

علي بثقة : لا بتعلم بسرعة.

جوزيف : يبقى نقول اهلًا بيك في منطقة " أ " .

علي بحماس : هبدأ أمتى؟

جوزيف : دلوقتي ولا بتفكر في حاجة ؟

علي : لا أنا جاهز.

جوزيف : هتمسك ناحية تانية غير ناحية المخدرات خالص.

علي : ايه هي ؟

جوزيف : صفقة أسلحة جاية من روسيا هبعتك دلوقتي لواحد هيفهمك الدنيا كلها عايزك تخطط كويس أزاي ندخل الشاحنة مطروح .

علي بتفكير: ممم تمام..

جوزيف مشددًا على يد "علي" : مش محتاج أنبهك لحاجات كتير أنت فاهم كل حاجة من غير ما أتعب مخي.

علي : أديك قولت مش محتاج.

جوزيف : أتفضل أهو الورقة اللي فيها العنوان بتاع الراجل والرقم ولما تخلص كل حاجة كلمني.

علي : أتفقنا

تجلس بالشرفة والقلق حليفها حتى ظهر أمامها وهو يتجه ناحية المنزل فأسرعت لتفتح له الباب ومن ثم أحتضنته بقدر خوفها عليه.

ليلى بخوف : أنت كويس...؟

ميدو باستغراب : أيه يا ماما كل ده مالك في ايه؟

ليلى ببكاء : قلقت عليك أوي يا حبيبي أنت نسيت تلفونك وأتأخرت خالص ومعرفش أنت فين؟

ميدو وهو يُمسك يدها ليُطمئنها : متقلقيش يا حبيبتي خلاص أنا أهو كويس..

ليلى : عملت ايه في الأمتحان طمني؟

ميدو : الحمدلله قفلته يا ست الكل..

ليلي بفرح : الحمدلله يارب عقبال ما أشوفك يا حبيبي أكبر دكتور صيدلاني في مصر.

ميدو بتمني : يارب يا ماما يارب.

***

دقّت الساعة السابعة مساءً كانت كل من " نور " و" هدى " بالشرفة يتسامرون في أحاديث عدة حتى قاطع ضحكهم صوت " ميدو " طالبًا منهم مشاركته في الحديث.

نور : مش قولتلك تعالي بليل ياواد.
ميدو : شوية وهنزل أجيب طلب وأجيلكم وقولي لـ " زياد " يحضر البلايستيشن عشان أهزمه زي كل مرة .
هدى بضحك : تعالى أنت بس وأهزمه براحتك.
زياد متدخلًا فجأة : تهزم مين يا شاطر..
ميدو بفزع : أعوذ بالله أنت بتطلع منين؟
نور بضحكة عالية : الله يخربيتكم مش هنخلص بقا من خناقتكم دي..
هدى : خلاص يا " زياد " ده كان بيهزر.
زياد بثقة : آه أفتكر..
ميدو بضحك : هنشوف مين هيهزم مين النهاردة يا زيزو.
ليلى متدخلة : أنت بتتخانق أنت وزياد كعادتكم يعني وأنا بقول إيه الصوت العالي ده .
هدى بضحك : عادتهم ولا هيشتروها يا " ليلى" خلاص أتعودنا.
ميدو : خلاص كملوا أنتوا بقى مع بعض وهنزل أجيب الطلب وأجيلكم.
نور : يلا متتأخرش.
ميدو : حاضر يلا سلام.

قام بشراء كل ما يحتاجه فقرر أن يعود من ناحية " الخرابة " حتى يصل بسرعة ولكن من سوء حظه وجد كل من " سيد " و " عبده " يقفون في أحد الزوايا ومن الواضح أنهم يتفقون على شئ فقرر

بداخله أن يستمع لحديثهم ولذلك لابد أن يقف على مقربة منهم دون أن يكشفه أحد .

عبده : جيالي بضاعة كمان يومين هستلمها في الخباثة وعايزك معايا.

سيد : ودي تبع الشغل ولا تبعنا أحنا ؟

عبده بقهقهه : لا ركز معايا كدا بقولك في الخباثة يعني تبع شغلنا أنا وأنت، وبعدين دي مش حاجة عادية ده صنف من الغالي وأول مرة ينزل المنطقة كلها هنا وهنكسب من وراه كتير.

سيد بتردد : متأكد أنه محدش من الكبار يعرفوا حاجة عن الشغل ده؟؟

عبده : قولتلك متخافش يا أبو السيد.

سيد : أتفقنا.

عبده بعدما سمع صوت غريب : هو في حد سامعنا ولا أيه..؟

سيد : معتقدش ليه؟

عبده : أصلي سامع صوت رجلين كانت بتتحرك ..

سيد : طيب أتحرك شوية لقدام كدا وشوف..

عبده بنظرة غدر : ده " ميدو " واد ليلى.

سيد : أيييه أحنا كدا روحنا في داهية.

عبده بغضب : والله لهوريك أزاي تتصنت على أسيادك يا كلب.

سيد : أهدى كدا مش وقت برطمة كلام وقولي هنعمل أيه دلوقتي.

عبده بتفكير : لا أنت مش هتعمل حاجة أنا اللي هعمل.

***

فكر كثيرًا ماذا يفعل بهذا التسجيل الذي يحتوي على كل الحوار الذي دار بين " عبده " و"سيد " قرر الاحتفاظ به في مكان آمن ؛ فقد شعر بأن " عبده " لمح طيفه وهو يركض ولن يتركه بحاله، فقرر فجأة أن يرفع التسجيل ويُرسله ل " على " حتى إذا حدث له أي شئ يكون هو علي علم بكل ما يحدث بين أخيه و" عبده " .

الفصل التاسع

" التَّشبُث في معرفة بعض الحقائق يَجلب لكَ الموت أحيانًا
فكنْ حذرًا "

نهى شعبان

في صحاري مطروح يجلس " علي " أمام " جوزيف " يشرح له خطة استلام الشحنة بتركيز

جوزيف بصفير عالٍ : أيه يا ابني المخ ده لا عجبتني أوى..

علي بثقة : ولسه.

جوزيف : تمام أنا كدا هعتمد عليك أعتماد كبير في حاجات كتيرة بس دلوقتي محتاج منك أنك تستلم الشحنة دي ومعاك كام راجل من رجالتنا يعني أنا مش هروح معاك.

علي : ممم تمام بس في حالة الحكو..

جوزيف بمقاطعة : متكملش أنا مجهز حلول لكل حاجة.

علي : يبقى يومين والشحنة تكون عندك يا ريس.

جوزيف بضحك : ده أنت ابني.

علي بمجاملة : هو أنا أطول يا باشا.

جوزيف : يلا روح كفياك كدا.

علي : سلام يا ريس.

***

بمنزل " عبده " كانت " نور " تودّعهم فلم يتبقي سوى ساعة واحدة لتلحق بالقطار المتوجه إلى الأسكندرية .

هدى بحزن : يا بنتي مشبعتش منك والله الأسبوع عدى بسرعة.

نور بضحك : اللي يشوفك أمبارح ميشوفكيش النهاردة يا " هدهد " ...
هدى بغضب مصطنع : طيب يلا يا هانم مش عايزة أشوف وشك تاني.
زياد بحزن : هتوحشيني جدًا يا " نور " خلي بالك على نفسك.
نور : وأنت جدًا يا حبيبي، أعمل زي ما أتفقنا متنساش.
زياد : متقلقيش ده وعد، والوعد لو منفذتهوش مبقاش راجل.
ميدو متدخلًا : طيب يا ست " نور " هو أنا مينفعش أقول هتوحشيني يعني؟!!
زياد بضحك : يا أبني أخوها وأمها واقفين أنت ايه معندكش أحمر خالص..!!
ميدو بغضب : والله ما شوفت حد بارد زيك ..!
نور بصريخ : كفاااااية يخربيتكم ايه مبتزهقوش من الخناق.؟!
هدى بضحك : يلا روحوا وصلوها بدل ما يفوتها القطر وأتخانقوا بعدين.
بعد مرور نصف ساعة كان ثلاثتهم في المحطة منتظرين القطر الذي سوف ينقل " نور " لعروس البحر المتوسط، وبعد دقائق كانت " نور " تصعد للقطار ويساعدها " زياد " في رفع حقيبتها .

***

الهدوء يُغطي المكان، الظلام هو الرفيق، يتحدثون بلغة الأشارة، يعرف كُل منهم المكان الخاص به بينما يقف "على" في الواجهة يعلو ثغره ابتسامة ثقة عندما رأى اقتراب الشاحنة وأصوات أبواق السيارات الذي عمّ المكان

فجأة، ترجل من السيارة رجل في الخمسينات من عمره ولكن مظهره يوحي بأنه في العشرينات، عيناه حادة كالصقر يمتلك قوة حضور، مدّ كف يده ليصافح " على " بحرارة بالغة فبادله الأخر نفس الأهتمام ومن ثم تطرقوا إلى الحديث عن الشاحنة.

علي : شنطة الفلوس دلوقتي بقيت في عربية حضرتك مستر " أودين".

أودين بامتنان : متشكر " على " وصل سلامي لمستر "جوزيف".

علي وهو يستعد للمغادرة : تشرفت بمعرفتك، توصل بالسلامة.

أودين : الله يسلمك.

وصل بعد ساعة إلى المخازن الخاصة بهم وقام بتسليم الشاحنة ل " جوزيف " ليصفق له بحرارة على حكمة عقله في إدارة هذه المهمة.

جوزيف بسعادة : أنا مبسوط بيك جدًا .

اكتفى بالابتسامة هو الآن على مقربة من انتقامهِ، جَعل كل الأشياء تَسير كما هو يُريد وليست كما تُريد هي، فخور أنه وصل لتلك النقطة العميقة وأن مستقبله بدأ في الأشراق بعد معاناته طيلة حياته .

***

في " الخرابة " يجلس " سيد " وشلة السوء، وما فاجأهم دخول " زياد "

سيد : يااااه أفتكرتنا أخيرًا..؟!!

زياد : أخباركم يا رجالة؟

مصطفى بخُبث : عاش من شافك، ايه نفسك هفتك على أستفة ولا ايه؟
زياد بضحك : لا أنا كنت معدي فقولت أسلم عليكم .
سيد وهو يعطيه سيجارة : أحلى مسا عليك يا " زيزو "....

زياد بابتسامة : متشكر يا " سيد " أنا هقعد شوية وأمشي.
سيد بعدم اهتمام : طيب يلا يا رجالة نبدأ ليلتنا .
أخذته قدماه ناحية " الخرابة " لا يعرف لماذا يجلس معهم الآن فهو لن يتناول أي شئ ويخلف وعده الذي أعطاه لـ " نور " ، أخذه الفضول نحو معرفة كيف كانت حالته بالسابق وماذا كانت تفعل به الأستفة، دقائق ليست بكثيرة وظهر المفعول جليًا على أوجههم، وبدأت أصواتهم تتعالى وكل منهم يتحدث بما في جُعبته دون معرفة ماذا يقول ولكن ما استوقفه حقًا تلفُظ "سيد" باسم " نور " وقهقهته الغريبة حتى تحدث..
مصطفي : عايز منها ايه مش كفاية خدت اللي عايزه..؟!!
سيد بسُكر: هموت عليها تاني.. آآآه لو أطولها..!!
لم يشعر بذاته إلا وهو منقض على " سيد " ويلكمه بكل قوته، يصرخ به بصوت عالٍ، ويضربه ضرب مبرح لا يتحدث سوى بجملة " عملت ايه فيها يا كلب والله لأدفعك التمن غالي أصبر عليا "، دقائق لم يستوعب فيها أي شئ، سوى تردد صدى كلمات " سيد " بداخله، لم يتحرك أحد منهم للدفاع عنه، تركه حينما أيقن بأنه فقد الوعي، تحرك وكانت وجهته المنزل لم يتفوه بكلمة لوالديه بحاجة إلى أثبات كلامه أولًا ولكن مِن مَن ؟!

بالتأكيد هي الوحيدة التي سوف تبوح له بالحقيقة كاملة لذلك لابد من المواجهة وجهًا لوجه .
يثق بها كثيرًا، يتمنى لو كان " سيد " يهرتل بالكلام فقط أو أنه يقصد فتاة أخرى غيرها يتمنى أن يكون كابوس وبعد دقائق سوف يفيق منه .

***

صباح اليوم التالي لم يعرف للنوم طريق، عقله مشتت وبداخله أفكار متضاربة، أحضر حقيبته واستعد للخروج من غرفته ليفاجئهم بأنه ينتوي السفر للأسكندرية ليقضي أسبوع مع " نور " ..
هدى باستغراب : أمال إيه الشنطة دي يا " زياد " .
زياد : هروح أقضي كام يوم عند " نور " يا ماما .

عبده بأستهزاء : وده من إيه إن شاء الله؟
زياد ببرود : عادي هغير جو وبالمرة هشوف شغل هناك..
هدى : يعني يا ابني تبقي أنت وأختك بعيد عني؟!!
زياد : هنجيلك يا " هدهد " متقلقيش.
عبده بنفاذ صبر : أعمل اللي يريحك.
زياد : ما هو ده اللي هيحصل فعلا، يلا سلام عشان ألحق القطر.

لم يهاتف " نور " هو يعلم أنها بالشركة وسوف يذهب إليها، يحاول ترتيب حديثه وكيف يفاتحها حتى أستقر أنه سوف يصارحها بكل ما حدث فهذا سوف يشجعها على الحديث إذا كانت تُخفى شيئًا عنه .

***

اما "سيد " فتؤلمه حركة جسده من كثرة الضرب، عيناه منفوخاتان والزُرقة تحاوطهما، الدماء تسيل من فمه، يَسُب كل دقيقة "زياد" على ما فعله به ويتوعد له بالشر

ألتقط هاتفه وقرر مهاتفة " عبده " ليقُص له ما فعله أبنه..

عبده : صباح الخير..

سيد بغضب : صباح الزفت على دماغكم كلكم..

عبده باستغراب : أنت نسيت نفسك ولا إيه يا " سيد " ولا ضاربلك حاجة من إياهم.

سيد : إن مجبتلكش " زياد " في شوال مبقاش " سيد " وأبقى علم ابنك ميجيش ناحيتي تاني وحيات تعبي ده لهربيهولك.

عبده :أنت بتقول ايه أنا مش فاهمك أنت فين على كدا وأنا أجيلك..؟

سيد : أنا في البيت تعلالي عشان نصفي حساباتنا بالمرة.

أغلق المكالمة بوجهه دون أن يسمع الرد، ألقى بجسده على السرير يتألم بشدة مغمضًا عيناه ينتظر مجيئه، وبعد عشرة دقائق كان " عبده " يطرق الباب حتى يفتح له .

عبده بصدمة : ايه ده؟

سيد باستخفاف : لا دى حاجات بسيطة بالنسبة للي هعمله في ابنك.

عبده محاولًا أمتصاص غضبه : طيب فهمني اللي حصليه؟؟

سيد : معرفش مش فاكر حاجة لأني كنت شارب.

عبده : طيب خلاص أنا هظبطه ومتزعلش يا أبو السيد أمسحها فيا أنا المرادي.

سيد : لما نشوف هتعمله ايه، المهم قولي عملت أيه مع الواد " ميدو " .

عبده بشرود : لسه معملتش بس هعمل وقريب أوي.

سيد : هنستلم الشحنة أمتى؟

عبده : بكرة فوقلي كدا مش وقت تعبك وحاول تتصرف في منظرك ده..

سيد : الله ما أبنك هو اللي عمل كدا أنا عايزه بس يويريني نفسه..

عبده بغضب : يووه ما خلاص قولتلك هظبطه عايز ايه تاني؟!!

سيد : خلاص تمام يلا بقى أمشي عشان عايز أرتاح شوية.

عبده : ياكش بس تخف من هنا لبكرة يلا سلام.

سيد بخفوت : سلام ده أنتوا عيلة زبالة كلكم.

***

يقف أمام الشركة ممسكًا بهاتفه يضغط على زر الأتصال ليتفاجأ بالصوت الغير مُحبب بالنسبة لنا وهو أن الهاتف مغلق أو غير متاح فيقرر في لحظتها الدخول للشركة .

زياد : أحم، السلام عليكم .
موظفة الاستقبال : وعليكم السلام أتفضل يا فندم.
زياد : ممكن تنادي على " نور ".
موظفة الاستقبال : قصدك مديرة الفرع " نور عبده " .
زياد : أيوة.
موظفة الاستقبال : طيب أتفضل حضرتك وهديها خبر بس أقولها مين؟
زياد : قوليلها " زياد " .

في غضون دقائق كانت " نور " تقف أمامه، وجهها مملوء بمشاعر الخوف، يدور في عقلها عدة سيناريوهات بشأن والديها، حتى أنها لم تصافحه فقط نظرت إليه في رُعب وكأنها سوف تستمع لخبر وفاة أحدهم .
لاحظ ارتجاف يدها فتحرك ناحيتها ليبُث الطمأنينة بداخلها ومن ثم تحدث بصوته الأجش
زياد : ايه يا حبيبتي فونك مغلق ليه؟
نور بقلق : ماما وبابا كويسين في حاجة حاصلة معاك؟
زياد : شششش مفيش حاجة والله أنا جاي أقضي كام يوم معاكي..

نور بتنهيدة : يا الله خوفت أوي يا " زياد "، طيب ليه مقولتليش قبلها؟!
زياد : طيب هنحكي كدا قدام العالم؟؟
نور بعدم تركيز: أه معلش يا حبيبي هات شنطتك ويلا بينا على مكتبي.
طلبت له فنجانًا من القهوة، وأخذهم الحديث حتى أستقر عند كلمة " سيد " فلاحظ أرتعاش جسدها .
زياد ناظرًا لها : هو في حاجة حصلت بينك وبين " سيد " أقصد أتعرضلك أو كدا ؟

نور بخوف : لا بتسأل ليه؟؟
زياد : ممكن تحكيلي كل حاجة ووعد محدش هيعرف.
نور ببكاء : أنت عرفت منين؟
زياد : أحكيلي كل حاجة وهفهمك ، بس قبل ما تحكي عايز أعرفك إني بثق جدًا فيكي جدًا، بثق فيكي أكتر ما بثق في نفسي حتى.
نور بشجاعة : كدا كدا كان هيجي اليوم وتعرفوا كلكم الحقيقة دي حاجة مينفعش تستخبي الحوار بدأ من وأنا رايحة وجاية من الشغل كان على طول بيضايقني وأنا كنت بتجنب أعدي من مكان هو موجود فيه.
زياد مقاطعًا حديثها : وليه مجتيش قولتيلي؟
نور : لأنه مكنتش عيزاك تحتك بواحد زبالة زيه وكنت خايفة عليك.
زياد : بس أنا راجل يا " نور " وكنت هعرف أخدلك حقك كويس..

نور : أعتبر أنها قلة وعي مني وكنت حاطة خوفي عليك وعلي بابا هو كل حاجة.

زياد : طيب كملي ومش هقاطعك خالص لحد ما تخلصي.

بدأت تسرد له كل ما حدث بالتفصيل، ولكن حدث ما لم تتوقعه، لم تبكي هذه المرة، لم يغلبها ضعفها بل كانت تتحدث بكل ما أُتيت من شجاعة وكأن الوقت قد محى أثر الموقف، وكأن قلبها قد عاد لريحان شبابه عندما أزالت هذا الكاهل من على عاتقها، أخذت تنظر إلى أخيها لترى أثر الحديث على وجهه، فهى بحاجة إلى أن يتكلم أو يفعل أي شئ أفضل من حالة الصمت الذي هو عليها.

نور : طيب قول أي حاجة ؟!!

زياد بغضب مكتوم : تعرفي إني ضربته وأغمي عليه من كتر الضرب بس والله يا "نور" لرقبة "سيد" في يوم من الأيام هتيجي لحد عندك ..

نور ممسكة بيده : ممكن تهدى أرجوك.

زياد : أنا مش هتهور يا " نور " بس ده اللي لازم يحصل متخافيش أنا جمبك.

نور : طيب خلاص يلا بينا ونبقي نكمل كلامنا في وقت تاني كفاية اللي أتحكى.

زياد : ماشي يا حبيبتي يلا .

***

مرّ يومان وحدث ما لم يتوقعه كل من " سيد " و " عبده " فقبل دقائق من معاد استلام الشحنة أخبرهم شخص ما أن المكان مُحاصر بقوات الأمن فخمّن " عبده " بأن " ميدو " بالفعل كان يسمعهم وأخبر الشرطة ليراقبوا تحركاته .

علي الناحية الأخرى أرسل " ميدو " التسجيل ل "علي " وتسجيًلا أخر بصوته يخبره بأن "عبده" لمح طيفه وبالتأكيد سوف يفعل به شئ وأنهى التسجيل بجملة: " دلوقتي تقدر تجيب حق نور يا علي "

ليلى : لولولوي مبروووك يا قلب أمك يا أحلى دكتور صيدلانى شافته عنيا.

ميدو بفرحة : بتكلمي جد...؟؟!!!

ليلى وهي تحتضنه : أيوه يا حبيبي خالك لسه جيهالك.

ميدو : الحمدلله ربنا مضيعش تعبي ولا تعبك معايا ولا تعب " نور" و " علي ".

ليلى بفرحة غامرة : الحمدلله يا حبيبي.

ميدو : أما أروح أقول ل " هدهد " بقى.

صعد الدرج والسعادة هي حليفته فتحت له الباب فأخبرها بسرعة وفرحت له كثيرًا فهو بمثابة أبنها الثاني .

ميدو : كلميلي " نور " حالًا عشان أقولها.

هدى : حاضر عنيا يا أحلى دكتور .

هاتفت " نور " وبعد ثوانى أتاها صوتها..
هدى بحماس: الو أيوة يا " نور " خدي " ميدو " عايز يقولك حاجة..
ميدو: أنا نجحت يا " نووور " نجحت وهدخل صيدلة وحلمي أتحقق..
نور بفرحة : يا حبيبيي مبروووك الف مبروووك عقبال ما نفرح بتخرجك يارب.
ميدو: لازم تيجي بقى وهاتي " زياد " معاكي عشان نحتفل.
نور : حاضر بس كدا وهجبلك أحلى هدية.
ميدو: ربنا يخليكم ليا كلكم يارب.
نور : يارب يا حبيبي.

***

الغضب والانتقام يسيطران على جسده بأكمله، استعد لهذه المهمة في أي وقت، جلس في "الخرابة " فهو يعلم جيدًا بأنه يمشي من هذا الطريق لأنه مختصر...

أخذ النقود من والدته ليذهب إلى شراء بعض متطلبات المنزل تحرك ناحية " الخرابة " وكالعادة إذا قُتل شخص فيها لن يشعر به أحد .
جاء من خلفه ووضع يده على فمه حتى لا يصدر منه أي صوت تحرك به في أحد الأركان، قام بلف زراعيه حول رقبته، رافعًا جسده للأعلي وكأنه يُعدم شنقًا، أستمر دقائق على هذا الوضع والأخر يُجاهد في التقاط أنفاسه

محاولًا ضربه بقدميه وتحريك جسده ولكن بلا فائدة، فهو يمتلك قوة انتقام تكفي لحرق الكرة الأرضية فكان الكُره حليف الموقف : ليتلفظ بأنفاسه الأخيرة وتغادر روحه البريئة إلى السماء .

تأكد من عدم مراقبة أحد له، تركه عندما تأكد بأنه فارق الحياة متلفظًا بجملة واحدة " أهي دي أخرة اللي يجي على عبده يا ابن ليلى " .

***

الفصل العاشر

" تصمُد وتُقاتل من أجل أن تصل، ولكن سُرعان ما ينهدم كل شئ في لحظة غدر من أحدهم يا لها من حياة قاسية "

نهى شعبان

يجلس مع والده يتفقان على عدة نقاط، فالشحنة القادمة تحتاج لوجودهما معًا، قاطع تركيزه نغمة الرسائل لذلك قرر أن يبتعد قليلًا ليسمتع لتلك الرسائل الصوتية .

أربعة دقائق غيرت مسار العالم لديه، صوت " ميدو " المشحون بالخوف والقلق أربكه تمنى أن يكون بجانبه الآن ،هو يعلم نوايا " عبده " الخبيثة وأنه من الممكن بل الأكيد في مقدوره أن يفعل ذلك دون رحمة .

علي متسائلًا : تفتكر اللي بيمسك حاجة على " عبده " بيعمل فيه ايه؟

محمود دون تفكير: بيقتله ويشرب من دمه.

علي : حتى لو عيل صغير.

محمود : حتى لو أنا شخصيًا.

علي : أقولك طيب أنا هنزل القاهرة دلوقتي.

محمود بتساؤل : جاتلك مكالمة من مين؟؟

علي : عشان تبقى عارف " ميدو " لو أتقتل أنا هقتل " عبده " في غمضة عين..

محمود : ومال ده بده؟

علي وهو يتجه ناحية غرفته : بعدين...

***

يجلس معها في الشقة التي تُقيم بها بالأسكندرية، سعيد بوجوده معها وبأحاديثهم التي لا تخلو من المرح.

نور : خلاص بجد هكلم " معتز " وأشوفلك شغل.

زياد : أتفقنا.

نور بسعادة : أنا مبسوطة جدًا ب " ميدو " .

زياد بضحك : هننزله على الأسبوع الجاي وهنخربله الدنيا.

نور : آه وعايزين نفكر في هدية..

زياد بتفكير: آه صح متعرفيش " علي " مختفي فين ؟

نور : سمعت طنط " ليلى " بتقول أنه سافر مطروح وقاعد هناك مع بباه.

زياد بسخرية : استغربت أنو طلع عايش..

نور : اللي معاه حد زي عياله دول ليه حق يطفش.

زياد وهو ينظر لهاتفه : في رقم غريب بيرن عليا..

نور : طيب رد.

أجاب على الهاتف ليصطدم بصوت " علي" يسأله إذا كان موجود بالفعل في المنطقة أم أنه بعيد..؟

زياد : بس ليه بتسأل؟

علي : هتعرف كل حاجة بعدين .

زياد : أوك سلام.

أصبح قلقًا للغاية، هاتفه مغلق ولا يُريد محادثة "ليلى" حتى لا تقلق عليه أمامه خمسة ساعات ليصل إلى القاهرة، هل هو بخير الآن أم أن شكوكه في محلها ؟!

***

يجلس " بالخرابة " في الغرزة بالتحديد يتفق مع بعض الجيران بمقابل مادي لينقلوا " ميدو " إلى والدته ويشهدوا بأنهم قاموا برؤيته وهو يسقط على الأرض طريحًا دون أن يتعرض أحد له
عبده بخُبث : تمام كدا يا رجالة ؟
الثلاثة بصوت واحد : تمام يا باشا ...

***

أحضرت له الكيكة التي يُحبها، وجلست في البلكونة تنتظره بفارغ صبرها، رفع رأسها وزاد من فخرها بهِ، تُفكر في مستقبلهما سويًا، هو ليس أبنها فحسب بل بمثابة رجل البيت، فقد عوضها عن فقدان أبيه، رفضت الزواج من الأكابر لكي تتفرغ لتربيته تربية سليمة، الابتسامة تزين وجهها حتى انقلبت إلى صرخة دوّى صداها المنطقة بأكملها، دقيقة واحدة واجتمع أهالي الحي لرؤية ماذا حدث بـ " ميدو "، دقائق أخرى والطبيب كان بغرفته

يفحصه ليكسو وجهه حزن دفين ويخرج ليُلقي عليهم الخبر المفجع وهو مفارقة "ميدو" للحياة .

الجميع في حالة ذهول وعدم تصديق، تمر كل ذكرى له بخاطرهم، روحه الخفيفة، حركاته التلقائية، أحترامه وسيرته الطيبة، جفَّ حلقها من كثرة الصراخ لم تستطيع استيعاب أي شئ ولم يأتي ببالها أن هناك أحدًا خلف موته الغريب هذا، تُهدئ من روعها "هدى" ولكن بلا فائدة ساعات قليلة وألتف جسده الضئيل بالأبيض ليتم نقله إلى المقابر الخاصة بعائلتهم .

***

بمجرد دخوله المنطقة أستشعر وجود شئ غريب ،القرآن يتعالى صوته من كل المنازل، حالة هرج ومرج أمام منزل " ميدو "، يغمض عيناه يحاول تكذيب كل ما يحدث، هو يفتقده ويريد رؤيته، هو ليس بجاره هو أخيه الصغير، أعظم ما أنجبت البراءة في عالم الإنسانية، أقترب خطوة بخطوة دون أي حركة، الكل يلقي عليه ببعض الكلمات المعهودة في تلك المناسبات، اتجه ناحية غرفته وأزاح القماش من على وجهه احتضنه وأنخرط في بكاء عميق لم يستطع امساك نفسه، لعلَّ ذلك يُشفي ما بداخله من حزن، تلك اللحظات التي لا تعبر عنها بأي شئ، كل ما بداخلك غير قادر على التصديق، فقط تلتزم الصمت؛ الصمت الذي يحتوي على ضجيج العالم بأكمله،

يُمرر يداه على وجهه يُريد تذكر ملامحه دائمًا فهذه الصورة الوحيدة التي سوف تُخلّد في ذكراه للأبد، يمر شريط ذكرياتهم معًا أمام عيناه، ليقف عند تلك اللحظة ويُقنع عيناه بأنه اللقاء الأخير وها قد حان موعد رد الآمانة إلى خالقها، وداعًا "ميدو"، وداعًا يا صغيري وأقسم لك بأنني سوف أزورك المرة القادمة ويداي ملوثة بدمائهِ، لن أترك حقك ولو مهما بلغ عقابي .

***

الأيام تَمُر ولا جديد يحدث فقط الشحنات تتبادل بينهم وبكل سلاسة، " عبده " و" سيد " يتوسعون في تجارة المخدرات دون علم " جوزيف " ولكن هذا ما يدور في إعتقادهم، " على " أصبح يمثل الكل في الكل عند " جوزيف " حتى أن " فيليب " طلب منه أن يأتي به لإيطاليا ليكون مساعده هُناك، رحب " على " بتلك الخطوة كثيرًا ولكن طلبَ منه أن يمهله أسبوع فقط ليكون جاهز للسفر نهائيًا من مصر.

***

من بعد وفاة " ميدو" قررت أن تعود للقاهرة ولا نية لها للشغل بعيدًا عن أهلها مرة أخري، استلم معها " زياد " أحد الأشغال الكتابية في الفرع مما أسعدها كثيرًا، موت "ميدو" كان صدمة لكلاهما فلم يستطيعوا تخطي

الأمر إلى الآن، الحزن يسيطر عليهم ويظهر جليًا على وجوههم ولكن ما يخفف عنهم زملائهم في العمل .
توجهت " هالة " ناحية مكتبه، قررت أن تعترف له بالحقيقة كلها وحينها فقط ستحكم إذا كان يحبها بالفعل أم لا، فهي تستحق أن تكون بخير الفترة القادمة.

طق طق طق
معتز: أتفضلي يا " هالة ".
هالة بتوتر: أنا جاية أحكي ليك رد فعل " نور " بس قبل ما أحكيلك أنا عايزة أعترفلك بحاجة وأوعدني أنك حتى لو محصلش نصيب يفضل سر بينا.
معتز باستغراب : أوعدك بس فهميني..!!
قصت له كل ما حدث لها حتى رجوعها إلى القاهرة مرة أخرى، حتى أنتهت قائلة له..
هالة : لو حضرتك مش هتتسمك بيها يبقى لا تأذيها في شغلها ولا في حياتها وسيبها في حالها.
معتز بصدمة : ايه اللي بتقوليه ده، يعني " نور " كان ممكن تديني فرصة لولا اللي حصلها دا؟!

هالة : القرار في إيدك أنا عارفة الموضوع صعب جدًا بس فكر بعقلانية كويس وأنا متأكدة أنك هتتصرف صح بس أرجوك أبقى بلغني قبل ما تاخد أي قرار..

معتز: عايز أقولك إني بثق فيها جدًا وإني بحبها وهفضل ثابت على قراري يا " هالة ".

هالة وقد تهللت أساورها : بجد..؟

معتز: بجد والله وأنا هفاتح " زياد " في الموضوع.

هالة بحزن : هو عرف كل حاجة ومش عارفة ردة فعله على موضوع جوزاها ده هيبقي إيه.

معتز: متقلقيش دي عندي أنا.

هالة : ماشي هضطر أستأذن أنا بقى.

معتز: " هالة " متشكر جدًا على ثقتك دي.

هالة : أنتوا تستحقوا تكونوا مع بعض ربنا يتمملكم أموركم الجاية على خير يارب.

معتز بتمني : يارب.

***

تأكد من زيادة نشاطات " عبده " بالمنطقة وذلك يُعتبر خيانة بالنسبة لهم، فقام بتبليغ "فيليب" لأخذ رأيه بعدة نقاط لكّي يقضي على هذا الموضوع

فشجعه " فيليب" على أخذ تلك الخطوة . تحرك بسيارته ناحية منزل "محمود" و "على" وأخبرهم بأنه يُريد التحدث معهم بأمر ضروري.

محمود : نورتنا يا باشا.

جوزيف : بنورك المهم بكرة هنزل منطقة " سيدي برانى " فاكرها.

محمود باستهزاء : ودي تتنسي إزاي يعني؟

جوزيف : بكرة بليل هنروح نقابل ناس مهمين هناك .

علي بتركيز بالغ : مين الناس دى ؟

جوزيف بذكاء : ما لو عايز أقول كنت قولت بكرة هتعرفوهم .

علي : تمام.

غادرهم ورفع هاتفه على أذنيه ليحدث الأطراف المعنية ويُخبرهم بالمعاد فأخبروه بالموافقة .

أخذ يحدث نفسه بأن الغد سوف ينتهي من كل تلك المشاكل التي تواجهه سوف يعطي الدرس لكل من حاول التلاعب من خلفه .

***

صباح اليوم التالي طلب " معتز " من " زياد " أن يحضر إلى المكتب فهو يحتاجه في شئ خاص

زياد : صباح الخير يا مستر.

معتز: صباحك رضا أخبارك وأخبار والدتك ووالدك.

زياد : الحمدلله تمام.

معتز: طبعا بتسأل جبتك ليه أنا بس عايز أطلب إيد " نور " فمحتاج تاخدلي معاد من والدك.

زياد بحزن : حاضر هحاول.
معتز: لا أنا محتاج معاد الأسبوع ده عشان مسافر الأمارات الأسبوع اللي بعده.
زياد : حاضر عنيا، النهاردة هرد على حضرتك.
الابتسامة تُزين وجهه ها قد أقترب من الحصول عليها، لا يَهُم كل ما مرت به هو يحبها لذاتها هي فقط، بالرغم من صعوبة الموقف إلا أنه أحبها بصدق مبالغ ولذلك مُصِر أن تكون شريكة حياته للأبد .
أما عن " زياد " خرج من مكتبه والحيرة تراوده طوال يومه، لم يشتغل بكل طاقته كعادته، ماذا يفعل أو يقول له بخصوص الحادث، طلب إذن للمغادرة فهو لن يستطيع استكمال اليوم، اتجه إلى المنزل وتحدث مع والدته بشأن هذا الموضوع فرحبت كثيرًا ب " معتز" فهي تسمع عنه كل خير وقررت مفاتحة " عبده " حينما يعود لتأخذ منه موعد المقابلة .

***

دقت الساعة الرابعة عصرًا فكان الجميع بالمنزل بما فيهم "عبده " ولكن ما أثار الجدل بأنه يقوم بتحضير حقيبته ولا يجيب على أسئلتهم المتكررة، فألتزم كل منهم الصمت حتى يتحدث هو ..

هدى بغضب مكتوم : أمال هتسافر من غير ما تقول رايح فين يعني؟
عبده بهدوء : مسافر مطروح رايح أجيب شغل ضرورى من هناك.
زياد بخُبث : هو ده شغل للمحل ولا شغل ....؟!!!
عبده بغيظ : أتكلم معايا بأسلوب أحسن من كدا أنا أبوك يا محترم.
هدى : أنا مش فاهمة حاجة أنتوا بتتكلموا فى ايه، هو أنت شغال حاجة تانى يا " عبده "؟؟
عبده بابتسامة حانية : لا يا " هدهد " ..
هدى : طيب معلش قبل ما تنزل عيزاك في كلمتين كدا.
عبده : عنيا..

التفت لينظر نظرة تحذيرية لـ " زياد " بينما قام الأخر بتحديه دون أي خوف، ففهم أنه عرف كل شئ عن تجارته بالمخدرات لذلك سوف يفكر بحل عندما يعود قبل أن يكشف " زياد " حقيقته أمام زوجته وابنته .

***

تجلس تفكر بحديث " هالة " عنه، وعن تمسكه بها ولكن لا يوجد حل بالنسبة لها، فعندما يعرف الحقيقة سوف يفعل مثلما فعل " علي " من قبل، سوف تتغير نظرته تجاهها لذلك لابد من الهروب مثل كل مرة فالطريق لهذا الموضوع يؤدي إلى حارات مغلقة .
زياد : الجميل سرحان في ايه ؟

نور : مش في حاجة، أنا عيزاك في موضوع..
زياد ناظرًا لوالدته : وأنا كمان عايزكم في موضوع.
هدى : طيب يلا قولوا يا حبايبي.
زياد بتردد : اللي هحكيه ده أنا عارف أنه صعب عليكم بس لازم تعرفوا عشان تكونوا على علم بكل حاجة بتحصل، أنا قبل أي حاجة معايا أدلة بالكلام اللي هقوله ده.
نور باستغراب : في ايه يابني ما تقول على طول..
زياد بشجاعة : بابا أكبر تاجر مخدرات في المنطقة.
هدى بصدمة : ايـــــــه...؟!!!!!!
نور بضحك هستيري : ايه اللي بتقوله ده ؟
زياد بهدوء : أنا اتصدمت زيكم بس أنا لما كنت شغال معاه فى المحل كنت بسمعه بودني وهو بيتكلم مع ناس غريبة وأول ما يشوفني يقوم قافل بسرعة، كنت بشوف الفلوس الكتير اللى في الخزنة في عز ما كان المحل بيقعد بالشهر من غير شغل كتير واللي أكد لي أكتر ريكوردات سمعتهاله ومخزن البضايع اللي مأجره ورا مننا من غير ما حد يعرف.
تنهد ثم أكمل بحزن عميق...
وكمان موتة " ميدو " للأسف بابا فى أحتمال كبير إنه يكون السبب في قتله بأدلة كتير بس محدش يعرف الموضوع ده غيري أنا و " على ".
هدى ببكاء: أنت بتكدب يا بني صح قول أنك بتكدب؟!!!

زياد : للأسف يا ماما دي الحقيقة بابا عنده استعداد يقتل أي حد يمسك عليه حاجة.

نور بذهول : أنت قابلت " على " أمتى ؟ وايه اللي عرف "على" بحكاية "ميدو"

***

بعد يوم واحد من الوفاة، قرر أن يهاتف " زياد " بعدما تأكد بأنه ليس له صلة بكل ما يفعله والده، أمامه ساعتان فقرر أن يستغلهما ويكشف حقيقة عبده " أمام ابنه

علي : لو أنت قريب من البيت تعلالي ضروري..

زياد : في حاجة يا "علي" ؟

علي : عايز أحكي معاك في حاجات كتير أوي بس بسرعة لأني مسافر كمان ساعتين.

زياد : مسافة الشارع وأكون عندك.

دقائق وكان " زياد " يطرق الباب ففتح له " على " وقام بتحضر فنجانين من القهوة ومن ثم بدأ الحديث..

علي بتنهيدة : بص أنا هسمعك دلوقتي حالًا ريكوردات " ميدو " قبل ما يموت بكام ساعة وأنت أحكم بنفسك.

زياد : ماشي..

استمع في صمت بالغ لم يعلق، الصدمة تظهر جليًا على وجهه، هو يعلم بأن والده يتاجر في المخدرات ولكن يقتل.." ميدو " لاستماعه للحديث الذي دار بينه وبين "سيد"..؟!!

حالة من الذهول والضحك الهيستيري أصابته، دموعه تنهمر على مقلتيه، كان يسمع كثيرًا عن الغدر ولكن تلك المرة الأولى التي يلتمس فيها معناه الحقيقي، حقًا ما هذا الألم الذي أجتاح روحه الآن ؟
والده قاتل ؟
تاجر مخدرات ؟
حياته مليئة بالشبهات ؟

علي مقاطعًا تفكيره : أنا عارف أنها صدمة بس عايز أفهمك يا " زياد " لا أنت ولا طنط "هدى" ولا " نور" تستحقوا تعيشوا مع الشخص ده لحظة واحدة أنا عايزك تقولهم الحقيقة كاملة، عايزك تاخدهم في مكان بعيد وتعيشوا حياة هادية، شغلك أنت و " نور " هيكفي عيشتكم بس إياك تطول في قعدتك مع أبوك ولا أنك تلمحله أنك فاهم حاجة.
زياد مستهزئًا : أنت متخيل إني كنت بشتري المخدرات اللي أبويا بيبيعها في السوق ؟
علي : أبوك مش تاجر مخدرات بس يا " زياد " أبوك ماسك منطقة " أ " كلها وشغال مع أكبر شبكة مافيا.

زياد بضحك: مبقتش استغرب يا " على ".
علي مشددًا على يده : أنت بقيت نضيف أوعى تقرب ناحية المخدرات تاني أوعى تظلم أمك وأختك معاك هما ميستحقوش منك كدا ومبقاش ليهم غيرك يا " زياد ".
زياد بتشتت : كل ده بيعمله من ورانا طيب ليه ؟!
علي بتفكير: الحرام بيشد وفلوسه بتزغلل العين ومش أي حد يقدر يعمل نفسه مش شايف ويكمل في طريقه وعشان كدا البعد عنه جهاد .
زياد : عندك حق، يلا أنا همشي.
علي : أتصرف كويس وأختار الوقت المناسب اللي تقولهم فيه ولو أحتجت أي حاجة رن عليا على الرقم اللي بكلمك منه بس متعرفهوش لحد.
زياد بابتسامة : حاضر يلا سلام.

***

أغرورقت عيناهم بالدموع، فالحقيقة تلك المرة قاسية لأبعد حد، زوجها ووالد أبنائها يعمل مع إحدى شبكات المافيا، يقتل أي شخص لمجرد أنه يعلم حقيقته، يا لها من ليلة حزينة.
زياد : أنا كدا حكيتلكم كل حاجة محتاجين بس نتصرف ونشوف هنعمل ايه؟

هدى بتفكير: هنسيب القاهرة خالص، أنا مش هعيش معاه تاني ولو لحظة واحدة أنا مش مستغنية عنكم، أنا هاخدكم ونروح نشوف شقة جمب خالكم في أسكندرية.

أكملت بقوة لم تعهدها من قبل:

دلوقتي هنقوم كلنا نحضر شنطتنا ونسافر على طول مش عايزة حد يعرف أي حاجة باللى قولته ده يا " زياد "، وبعد ما نستقر هناك أنا هرفع عليه قضية خلع لأني عمري ما هعيش على زمة واحد ماعندوش ضمير بالطريقة دي، أمسحوا دموعكم دي مش عايزة أشوف حد فيكم ضعيف أحنا هنقدر نتخطى كل ده ويمكن ربنا ألهمنا بالحقيقة دلوقتي عشان نكمل بقية حياتنا على نضافة بفلوس حلال.

زياد ممسكًا يدها : أوعدك ي ماما أننا هنكون بخير وكويسين في أقرب وقت.

نور ببكاء : ليه يعمل فينا كل ده ليــه..؟!!

هدى محتضنة كلاهما : أوعدكم أني هعيشكم زي ما أنتوا عايزين وأننا هنتخطى كل الأزمة دي، أنتوا اللي باقيلي في الدنيا دي وأنا مش عايزة غير راحتكم وعشان نكون مرتاحين لازم نسافر ونسيب القاهرة .

***

الساعة الثانية في منتصف الليل يقف كل من " جوزيف " و" محمود " و" على " ينتظرون هؤلاء الأشخاص المجهولين.

جوزيف بخُبث : هو أنتوا جايبين أسلحتكم؟

علي ومحمود : أيوه بس ليه؟

جوزيف : لربما يحصل حاجة..

علي : أطمن مستعدين لأي حاجة..

توقفت السيارة أمامهم فترجل منها كل من " عبده " و" سيد "، استغرب " محمود " كثيرًا فنظر إلى " جوزيف " ليفهم منه ما يحدث ولكن لم يُبدي " علي " أي ملامح استغراب مما أثار دهشة " محمود ".

جوزيف : أهلا بيكم نورتوا مطروح.

عبده : بنورك يا باشا بس أسمحلي أسلم على صاحب عمري أصله وحشني.

جوزيف : أه طبعا.

سيد بضحك : ما أنت عايش أهو يعني أمال ايه جو الموت اللي كنت فيه دا؟!!

جوزيف مقاطعًا إياهم : أنا مش جايبكم عشان تصفوا حساباتكم أنا جايبك يا " عبده " عشان أفهمك أنه اللي بيلعب من ورايا بيشوف أيام سودة.

عبده بخوف : لعب إيه بس يا باشا؟؟

جوزيف بقهقهه : على فكرة أنا كنت سايبك تلعب من ورايا براحتكم بس كنت بكتبلكك ودفترك أتملى.

محمود : وأحنا لازمتنا ايه في تصفية الحساب اللي ما بينكم دي؟

جوزيف : أصبر على رزقك يا راجل ولا أنت منفسكش تصفي حسابك معاه..؟

عبده : ملهوش عندي حاجة عشان نصفيها..

علي بتحدي : لا أنا اللي ليا عندك حساب وهصفيه بس أصبر عليا..

سيد بضحك : والله ده باينلها ليلة عنب..

جوزيف بغضب : أخرس يا " سيد ".

أتجه ناحيته وأمسكه من قميصه، ومن ثم طرحه أرضًا وبدأ يتحدث معه بنبرة عالية.

جوزيف : هو أنت فاكر إني مش هعرف أنت بتعمل ايه ولا بتبيع من ورايا فين ولا الصفقات اللي بتعملها يا غبي ده" سيد " اللي المفروض هو دراعك اليمين أنا مشغله معايا في الخباثة وكان فاضحك.

" عبده " باصقًا على " سيد " : أه يا كلب يا واطي إن ما ربيتك مبقاش أنا ما أنت تربية "سميرة " هيطلع من تحتها ايه غير أشكال زبالة...

محمود بغضب : أخرس يا كلب إياك تجيب سيرتها على لسانك دي أشرف منك ومن عشرة زيك.

عبده بلؤم : هو أنت لسه مصدق أنها بريئة ؟ دي كانت بتجيلي البيت وكانت بتحبني أنا.

محمود ساحبًا سلاحه من جيبه الخلفي : هقتلك وأشرب من دمك لو مسكتش.

عبده بصوت مبحوح : صدقني حتى " سيد " ده أبني أنا مش أبنك أنت، لما أنت كنت برا مصر...

لم ينتظر كلمة أخري وجه مسدسه ناحية قلبه، وقام بالضغط على الزناد لتستقر الرصاصة بجانب قلبه ولكن ما أصاب ذهول " جوزيف " الرصاصة الثانية التي خرجت من مسدس "علي" لتستقر برأسه ويفارق الحياة تمامًا .

ليقترب "علي" منه بضحكة عالية..

دي عشان أحس إني جبت حق " ميدو " منك يا كلب، متستحقش موتة غير بالشكل ده وبس .

قام ليقف مقابلًا ل " سيد " وجهًا لوجه لم يتحرك له رمش، يقف مهزوزًا بعدما رأي الدماء تسيل من جسد " عبده " أو ربما أبيه مثلما قال قبل موته بثواني..

جوزيف بلؤم : ليه مسبتليش الطلعة دي يا " على "؟

علي : لا معلش دي كانت بتاعتي أنا..

حرك رأسه مرة أخرى ليرى وجه " سيد "..

تعرف يا أبو السيد أنه اللي بيجي على " علي " بيخسر كتير يمكن أنت مش عارف أنا كنت بعديلك حاجات أزاي وأحنا صغيرين ولما كبرنا بس أنك تغتصب البنت الوحيدة اللى قلبي دقلها وتيجي عليها لمجرد أني أنا بحبها يبقي لازم أعرفك مين " علي " بالظبط .

رفع مسدسه موجهًا إياه ناحية رأسه ولكن ما استوقفه نداء والده..
محمود ببكاء : بلاش يابني ده أخوك..
علي بغضب جامح : أنا معنديش أخوات .
سيد باستسلام : أقتلني أحسن أهو تريحني من القرف اللي أنا عايش فيه..
علي بقهقهه : هو أنت فاكر بكلامك ده هسمي عليك مثلا؟!!
دقيقة استعاد بها كل ما كان يفعله به من شر، دقيقة كانت قادرة على محو كلمة أخوة ليسيطر عليه الغضب بتذكر اغتصاب " نور " لم يعي بنفسه إلا وهو ضاغطًا على الزناد لتغادر روحه إلى السماء معلنة نهاية الأنتقام .
محمود ببكاء : ليه يا " علي" تقتله؟!!!
علي بسخرية : هو أنت مش فاكر لما كان عايز يقتلك طيب !
جوزيف مبتعدًا ليجيب على مكالمته : كل حاجة أنتهت زي ما كنت عايز.
فيليب بفخر: برافو يا " جوزيف " تخطيطك شيطاني بس لعبتها صح، أبعتلي " علي" بكرة بقى عشان مش عايزة يتمسك وأنا هظبط كل حاجة في القسم عندك متشلش هم .
جوزيف بفخر: تمام يا ريس.

***

يجلس " على " متنكرًا بأحد قاعات مطار القاهرة الدولي منتظرًا موعد طائرته المتجهة إلى إيطاليا ليبدأ حياة أخرى، قام بفتح الواتساب وأرسل صورة كل من " عبده " و " سيد " مرفقًا معها
دلوقتي بس أقدر أقولك إني جبتلك حقك من " سيد " وجبت للمنطقة حق " ميدو " من أبوكي، سلام يا " نور العالم "، سلام للأبد .
أغلق الهاتف وقام بكسر الشريحة وألقى الهاتف بأقرب سلة مهملات .

مرت أربعة أشهر تم الحكم بالمؤبد على " محمود " ومن ثم إرسال جوزيف أحد الأشخاص للتخلص منه حتى لا يعترف بشئ .
بالرغم من كل ما مرت به "نور" إلا إن هذا لم يمنعها من الحزن على وفاة أبيها هي وأمها ولكن سرعان ما محى الوقت الحزن من قلوبهم ليبدأوا حياة جديدة نظيفة في الأسكندرية.
انتقلت أسرة " نور " للأسكندرية وتمت خُطبة " نور " ل " معتز" في أجواء هادئة بين زملائهم سائلين الله أن يرزقهم السعادة في حياتهم القادمة.

تمت بحمد الله

نهى شعبان